المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٢١

مركيز سلسبري

مركيز سلسبري اكبر ساسة الانكليز في هذا العصر قضى نحبهُ مساء السبت في الثانية والعشرين من شهر اغسطس . أُصيب بالتهاب الكلية في أوائل يونيو الماضي وخالطهُ ضعف القلب وزاد ضعف قلبهِ رويدًا رويدًا حتى قطع الرجاء من شفائهِ وتوفي من غير ألم فجاءَت وفاتهُ خاتمة حياة طويلة مفعمة بعظائم الاعمال ولكنها بعيدة عن محبة الابَّهة والظهور

وُلد في هتفيلد ببلاد الانكليز في الثالث من فبراير سنة ١٨٣٠ وتوفي فيها في الرابعة والسبعين من عمرهِ وهو من سلالة وليم سسل لورد برلاي الذي نشأَ في اواسط القرن السادس عشر وكان من اكبر وزراء الملكة اليصابات

درس في مدرسة اتن ومدرسة اكسفرد واتمَّ دروسهُ سنة ١٨٥٠ ونال رتبة بكلوريوس في العلوم وساح بعد ذلك في الاقطار فبلغ استراليا وزيلندا الجديدة فعرف احوال الناس وبلدانهم وعاد سنة ١٨٥٣ وطُلب منهُ ان يعود الى المدرسة للتدريس ففضل حزون السياسة على سهول العلم ودخل مجلس النواب نائبًا عن ستمفرد من حزب المحافظين وبقي في هذا المنصب الى ان توفي ابوهُ سنة ١٨٦٨ وآلت اليهِ القابهُ فدخل مجلس الاعيان باسم مركيز سلسبري

واقترن سنة ١٨٥٧ بابنة قاضٍ مشهور اسمهُ البارون الدرصن وكانت من نوابغ النساء في قواها العقلية الموروثة من والدها فساعدتهُ على ولوج ابواب السياسة والانشاء وجعل يكاتب بعض الجرائد الشهيرة ويكتب المقالات الانتقاديَّة وكان يدافع عن الكنيسة وعن المحافظين . وامتازت خطبهُ حينئذٍ كما امتازت بعدئذٍ بعبارات لا تخلو من قوارص الكلم كقولهِ ذامًّا اعمال الحكومة انها اليق بالمحامين منها برجال السياسة ثم اضطرَّ ان يعتذر عن ذلك الى المحامين . وكقولهِ

مَن يستفيد شيئاً من جريدة ثمنها نصف غرش (بني) . واشهر جرائد المحافظين تباع الآن بنصف غرش . وكقولهِ عن اللورد جون رسل انهُ يعامل الدول الاجنبيَّة بالقحَّة قوية كانت او ضعيفة . ولم يبدُ جوهرهُ ولا ظهرت مقدرتهُ الاَّ لما نبغ غلادستون و بدت شدة عارضتهِ في توسيع نطاق الانتخاب

ولما أُلّف لورد دربي الوزارة سنة ١٨٦٦ دعا صاحب الترجمة اليها واعطاهُ وزارة الهند من غير ان يكون قد استعدَّ لها الاستعداد العادي فبدت مهارتهُ حالاً قولاً وعملاً

ولم يكد يدخل مجلس الاعيان حتى بدت مقدرتهُ ورأى فيهِ مَن يعجب بفصاحتهِ وقوة عارضتهِ فانهُ كان خطيباً مفوَّهاً وعبارتهُ وجيزة اللفظ دقيقة المعنى خالية من البرقشة البديعية. واتفق ان المسائل التي عُرضت على الاعيان لينظروا فيها حينئذٍ كانت من المسائل التي يودُّ هو البحث فيها فقال ان المسائل الهامة التي مثل هذه لا يليق بوزارة ان تهتمَّ بها وهي في اواخر ايامها بل لا بدَّ من عرضها على البلاد كلها . اي لا بدَّ من اعادة الانتخابات قبل النظر فيها اما مجلس الاعيان فشأنهُ الموافقة على ما يجمع عليهِ جمهور النواب اذا اجمعوا عليهِ من تلقاء انفسهم معتقدين صحتهُ وهاك ما قالهُ في هذا الصدد

" اذا رأيتم ان اهالي بلادكم ارتأوا رأياً وانهم معتقدون صحة شيءٍ اعتقاداً صريحاً وجب عليكم ان تجاروهم . وقد لا تسرُّون بذلك او قد تودون تحويلهُ على صورة اخرى . ومن البين ان اعضاء الوزارة الذين يُطلَب منهم ان يفعلوا ما يخالف رأيهم واعتقادهم يستطيعون ان يستعفوا منها واعضاء مجلس النواب الذين يُطلَب منهم ان يعضدوا امراً مناقضاً لاعتقادهم يستطيعون أن يتركوا مجالس النواب واما انتم فلا تستطيعون ذلك وعليهِ لا يبقى امامكم الا أن تسلموا لرأي الامة اذا اتفقت على امرٍ مخالف لرأيكم والاَّ بطلت اعمال الحكومة "

ولم تمضِ عليهِ مدة طويلة حتى اضطرَّ ان يجري على هذا المبدإ فان الوزارة التي تألفت حينئذٍ اثبتت امراً يتعلق بالكنيسة الارلندية مخالفاً لرأيهِ فقال للاعيان ان هذا الامر كان منظوراً لما جرت الانتخابات فالاكثرية التي انتخبت الاحرار واعطتهم مقاليد الاحكام كانت تعلم غرضهم وسياستهم فرأيهم رأيها ولذلك هو رأي الاكثرية ولا بدَّ لنا من الموافقة عليهِ. وكان من رأيهِ ان تعطي الحكومة الرواتب للكهنة الكاثوليك في ارلندا ولو فعلت ذلك لاصطنعتهم ونجَّت تلك البلاد من القلاقل

وتوفي لورد دربي الاكبر سنة ١٨٦٨ وكان مشيراً لمدرسة اكسفرد الجامعة وهو من العلماء والكتَّاب وقد ترجم اشعار هوميروس الى الانكليزية . فانتُخب مركيز سلسبري خلفاً لهُ فافاد

المدرسة فوائد جمّة لانهُ كان يشتغل بالعلم ايضاً رغماً عن اشتباكهِ بمهام السياسة سواءٌ كان في الوزارة او خارجاً عنها لكن اشتغالهُ العلمي كان في المواضيع الطبيعيَّة كالكيمياء والفلسفة الطبيعيَّة اكثر منهُ في علم الاحياء وفلسفة العلوم الطبيعيَّة والاَّ ما ارتكب الخطأ الذي ارتكبهُ في خطبتهِ التي خطبها لما كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني حينما اجتمع في

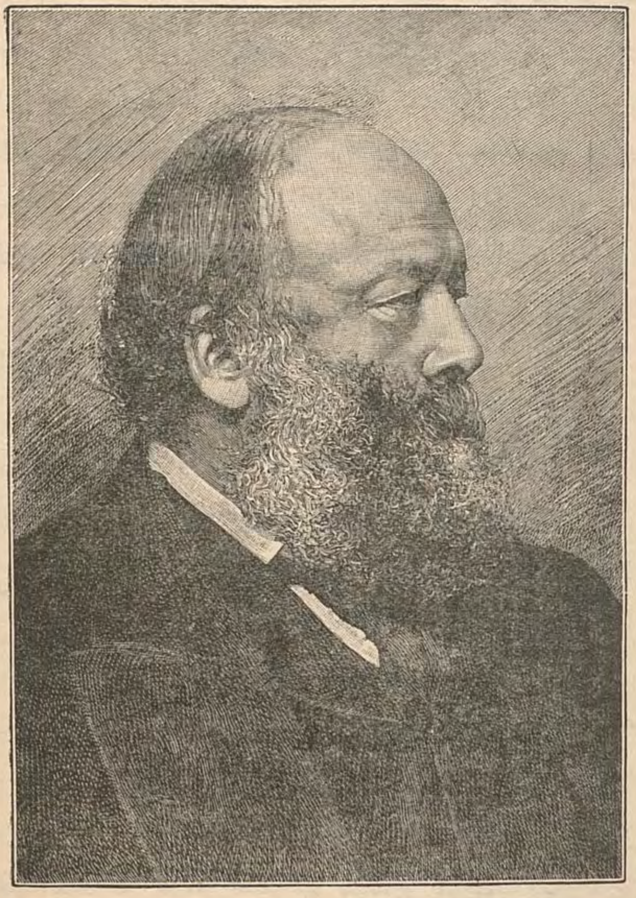

مركيز سلسبري

اكسفرد سنة ١٨٩٤ وهي التي ترجمناها ونشرناها في المقتطف بعنوان مجاهيل العلم وقد قال السر ميخائيل فوستر العالم الفسيولوجي الشهير في صدد ذلك ما ترجمتهُ " لقد ندَّد لورد سلسبري رئيس المجمع البريطاني بالمذهب الداروني فلما قام هكسلي ليشكرهُ على جاري العادة انبعثت اصوات البشر والترحيب من الجمع المزدحم حتى صمت الآذان وكأَنَّ لسان حالهم يقول

هذا هو الخادم الامين الذي خدم العلم اكثر من خمسين عاماً خدمة صادقة ناظراً الى الحق بعزم شديد ومرادنا ان يعلم ان اتعابهُ لم تذهب سدًى . وكان لورد كلفن زعيم علماء الطبيعة قد قام قبلهُ ليشكر اللورد سلسبري وقال ان الخطبة التي اصغوا اليها برغبة وتشوُّق قد دخلت ميداناً فيهِ سعة للعلم والفكر فاقتيدت بها افكارهم من العصور الوسطى الى اواسط القرن الحاضر فظهر لهم ان مدارس اكسفرد بقيت في طليعة علماء العصر . وقد سمعوا عن اعمال دارون العظيمة التي جعلت الناس يفتكرون ويجاهرون بافكارهم كما يشاؤُون . وان اساليب علم الحياة التي لم يضعها دارون بل وسَّعها كثيراً ورقَّاها ثبت انها نافعة جدًّا للعلم وللدين وللعقل. ويظهر من خطبة الخطيب من اولها الى آخرها انهُ من طلبة العلم ومن رجالهِ الذين لا يحصرون انفسهم ضمن دائرة ضيقة من دوائرهِ بل يتسعون فيهِ ويشتغلون بكل فرع من فروعهِ . وقد وقف اكثر قواهُ لعلم السياسة ولو جرى على مقتضى طبعهِ لفضّل ان يقفها للمباحث الكيماوية او نحوها من المباحث العلمية . ثم استدعى وجوب الشكر لهُ على خطبتهِ المفيدة . فلما قام الاستاذ هكسلي يؤيد طلب الشكر على جاري عادتهم (وهم يختارون لذلك خيرة رجالهم) قال

انهُ كُلِّف هذا العمل الشريف وهو تأييد الشكر ولكنهُ يأسف لان صحتهُ منعتهُ عن حضور هذا الاجتماع السنوي منذ سنين عديدة فنسي الرسوم المتّبعة في مثل ذلك واضطر ان يراجع في ذهنهِ ما كان يجري في المجمع في الايام السالفة منذ اربعين عاماً فرأى انهم كانوا يقتصرون على الشكر والمدح بعد تلاوة خطبة الرئاسة ويتركون الجدال والمناظرة الى الاجتماعات الاخرى التي تجتمعها اقسام المجمع . ثم قال ان خطبة الرئيس جزيلة الفائدة وحريَّة بان يُنظر فيها في قسم البيولوجيا . وان فيها كثيراً مما يعجب بهِ جدًّا ويوافق عليهِ اتم الموافقة . واستطرد الى مسألة النشوء ومذهب دارون فقال انهُ جرت فيهما مناظرة عنيفة بين بعض العلماء منذ اربع وثلاثين سنة وهي التي اشار الرئيس اليها فقال انصار دارون ان انواع النبات والحيوان غير ثابتة على حال واحدة بل تتغير دواماً وقد تولَّد بعضها من بعض وتولَّدت كلها من اصول قليلة العدد فقال الناس عنهم انهم يقصدون تقويض اسس الدين والصلاح وان النسبة بينهم وبين الحيوانات الدنيا قريبة جدًّا ولذلك يحسبون اصل الانسان منها . الاّ ان آراء الناس تغيرت كثيراً في هذه الاربع والثلاثين سنة التي مرَّت لانهُ رأى الخطيب يصرّح في خطبتهِ جهاراً ان القول بثبوت الانواع على حالها قد نُفي نفياً مطلقاً . وان قليلين يشكُّون الآن في ان بعض افراد النوع الواحد من انواع الحيوان قد تختلف بعضها عن بعض اكثر مما يختلف نوع عن آخر من انواع الحيوان كلها . فهذه القضايا التي يقول بها اصحاب

النشوء هي اساس مذهبهم وعندهم ان مذهب دارون ومذهب سبنسر ومذهب هكل ومذهب وسمن ليست النشوء عينهُ بل هي مذاهب ذهب اليها اصحابها تفسيرًا لكيفيَّة حدوث النشوء فهي مبنيَّة على النشوء ولكنها ليست اياهُ . اما النشوء فثبت على مقاومة خصومهِ كل هذه السنين . وقد ختم لورد سلسبري على صحتهِ تلك الليلة بخاتم الرئاسة . ثم رحَّب بلورد سلسبري لاعتناقهِ مذهب النشوء جديدًا وشكرهُ بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن نصراء دارون الذين لم يزالوا في قيد الحياة على ما اثنى بهِ على ذلك الرجل العظيم . فشكرهُ لورد سلسبري ووافقهُ على اقوالهِ"

وانتقلت الوزارة الى المحافظين سنة ١٩٧٤ فرأَسها دزرائلي وجعل مركيز سلسبري وزيرًا للهند وضربت المجاعة اطنابها في تلك البلاد حينئذٍ فارتأى البعض ان يمنع خروج الحبوب منها فرفض سلسبري ذلك حاسبًا مصادرة التجارة اضرَّ من كل ضرر فكانت النتيجة ان تجار الحبوب صاروا يرسلون حبوبهم الى الاماكن التي ظهرت فيها المجاعة فقلَّ ضررها . وفي عهد تلك الوزارة لُقّبت الملكة فكتوريا امبراطورة لبلاد الهند وهو الخاطر الذي خطر على بال دزرائلي واثبتهُ في رواية تنكرد التي عربناها ونشرناها في المقتطف منذ اربع سنوات فاخرجهُ من القوة الى الفعل كما اخرج غيرهُ من الخواطر . اما راي مركيز سلسبري من قبيل معاملة الانكليز للهنود فاوضحهُ في خطبة خطبها في مدرسة كبرس هل سنة ١٨٧٥ حيث قال

" ان جمهور اهالي الهند راضٍ بحكمنا كما اعلم عن ثقة ولقد كثر تغيُّر الملوك على بلاد الهند حتى لم يعُد الهنود يأنفون من تغيُّر ملوكهم غير ان الحكومة لا تثبت اذا شعر المحكوم انهُ ذليل في عيني الحاكم وشعر الحاكم انهُ اعز من المحكوم ويجب ان يذلهُ . فالذين يذهبون من انكلترا الى بلاد الهند لكي يذلوا اهلها هم اعداء انكلترا الذين يجب عليها ان تخشى شرهم لان في طاقتهم ان يقضوا على حكمها في تلك البلاد . ولكنني واثق ان الجميع يعرفون ما يجب عليهم وان التلامذة الذين يخرجون من هذه المدرسة ويذهبون الى بلاد الهند يذهبون اليها كدعاة للعمران شاعرين انهُ يُطلب منهم ان يمكِنوا ربط الاتحاد بين انكلترا وتلك البلاد العظيمة التي كان من نصيبنا ان نتولَّى حكمها "

ويظهر لنا ان كثيرين من الانكليز يجرون هذا المجرى ولولا ذلك ما تمكنوا من البقاء في بلاد الهند ولا في هذا القطر ولكن البعض لا يجرون عليهِ بل قام في نفوسهم ان اذلال الرعيَّة يرفع شأن رعاتها . ولو كانوا كثارًا في مستعمرات انكلترا لما قامت لها قائمة فيها

وحدثت حوادث البلغار سنة ١٨٧٦ ونهض غلادستون يثير البلاد على الحكومة ونشبت

الحرب في السرب والجبل الاسود وطلبت روسيا لها الهدنة واشارت انكلترا بعقد مؤتمر الاستانة ليشير بما يجب عمله لتسكين الخواطر في البلدان العثمانية وعينت مركيز سلسبري نائباً عنها في ذلك المؤتمر فمرَّ بعواصم اوربا وذاكر وزراءها وهو ذاهب الى الاستانة ولم تكن الدولة العلية راغبة في عقد هذا المؤتمر كما يظهر من التلغراف الذي بعث به صفوت باشا الى سفير تركيا في لندن ولا كانت روسيا راغبة فيهِ

والتأم المؤتمر في دسمبر تلك السنة وكانت انكلترا قد وضعت الشروط التي يجب ان تراعى فيهِ وهي حفظ الحالة التي كانت في السرب والجبل الاسود قبل الحرب وامتناع الدول كلهنَّ من الاستفادة من حوادث تركيا وحفظ البلاد العثمانية مع ادخال الاصلاح اليها مضموناً بضمانات كافية

وفُضَّ المؤتمر في ٢٠ ينايرسنة ١٨٧٧ من غير ان يأْتي بنفع وشهرت روسيا الحرب واعلنت انكلترا انها تبقى على الحياد ما دامت الحرب لا تمس مصالح رعاياها في مصر وترعة السويس والدردنيل وما دامت روسيا غير عاملة على اخذ الاستانة نفسها . فلما تقدَّمت جنود الروس في البلقان اوجست انكلترا شرًّا وسأَلت روسيا عما تنويهِ للاستانة وامرت اسطولها ان يذهب الى الدردنيل في ٢٣ يناير سنة ١٨٧٨ .وأُمضيت شروط الصلح بين تركيا وروسيا في ٣ مارس وهي المعروفة بشروط سان ستفانو ولما أُعلنت بعد ثلاثة اسابيع قامت انكلترا وقعدت واضطرَّ لورد دربي ان يستعفي من وزارة الخارجية فأُسندت الى مركيز سلسبري فنشر منشوره المشهور لوكلاء بريطانيا في كل البلدان ومفاده ان مركز تركيا قد حُدِّد في معاهدة باريس التي وقَّعتها الدول الاوربيَّة سنة ١٨٥٦ فكل ما يغير مركز تركيا الآن يجب ان يكون باتفاق تلك الدول . واشار بعقد مؤتمر برلين وبوضع شروط أُخرى للصلح غير شروط سان ستفانو . ورأَت روسيا ان لا مناص لها من امر من امرين اما القبول بعقد هذا المؤتمر او محاربة انكلترا ولم تكن مستعدة للحرب فقبلت بالمؤتمر كرهاً

فعقِد المؤتمر وجاءَهُ دزرائلي وسلسبري من قبل انكلترا بعد ان عقد سلسبري معاهدة سرية مع سفير روسيا في لندن افشت جريدة الغلوب امرها

ونتائج ذلك المؤتمر معلومة لدى الخاص والعام وهي ان روسيا لم تعد تعبأُ بخلل يحدث في تركيا ولا عجب اذا سُرَّت بهِ لانهُ ينيلها منها ما لا تنالهُ بالسلاح . وذئاب اوربا تجمهرت من كل صقع لخطف ما تستطيع اختطافهُ من ارزاق العثمانيين والمرابون الاوربيون فغروا لبانتهم فاسترهنوا اعظم موارد السلطنة ولا يزالون يطلبون المزيد

وسقطت وزارة دزرائلي سنة ١٨٨٠ وقامت وزارة غلادستون وتوفي دزرائلي في السنة التالية فخلفهُ سلسبري في زعامة المحافظين وفي غضون ذلك احتلَّت انكلترا مصر وتركت السودان وكادت تنشب الحرب بينها و بين روسيا على حدود الافغان فكان لسلسبري مجال واسع لمناضلة وزارة الاحرار الى ان سقطت سنة ١٨٨٥ وكان قد خلا لهُ الجو فاستدعتهُ الملكة واسندت اليهِ رئاسة الوزارة وهي اول مرة تولاَّها ولم تطل مدة وزارتهِ فاعيدت الانتخابات فكانت الاكثريَّة للاحرار لكنهم انقسموا بسبب لائحة الاستقلال الاداري لارلندا واعيدت الانتخابات ففاز المحافظون وبلغت اكثريتهم ١١٨ بمن اتحد معهم من الاحرار ودامت وزارتهُ هذه النوبة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٢ وحدثت في غضونها حوادث مهمة كقيام بولنجه في فرنسا وعقد المحالفة الثلاثية بين المانيا والنمسا وايطاليا واتفاق انكلترا والمانيا على اقتسام ما تتملكانهِ في افريقية وما تنويان امتلاكهُ فيها وسكون القلاقل في اوربا في اواخر هذه المدة واتساع الخرق بين قسمي حزب الاحرار

وأُعيدت الانتخابات العموميَّة سنة ١٨٩٢ ففاز الاحرار باكثريَّة قليلة وعاد غلادستون الى دست الوزارة وصادق مجلس النواب على لائحة الاستقلال الاداري لارلندا لكن مجلس الاعيان رفضها . واضطرَّ الضعف غلادستون الى ترك الوزارة للورد روزبري فظلت في يد الاحرار الى اواسط سنة ١٨٩٥ حين استعفت لسبب طفيف وأُعيدت الانتخابات فكان الفوز للمحافظين وانصارهم المتحدين وعاد سلسبري الى الوزارة ولا تزال الحكومة في يد المحافظين الى الآن

وحدثت المذابح الارمنية في هذا الاثناء فقام خطيباً ينذر بالويل والدمار وهو يحسب ان الكلام يقوم مقام الحسام وفاتهُ انهُ ان كانت انكلترا محقة في التعرُّض لشؤُون تركيا الداخلية فالتعرُّض لا يكون بالكلام وان كانت غير محقة فالكلام لا يجدي نفعاً . ولو كان للرعايا الانكليز مصلحة مالية في منع المذابح الارمنية لمخرت بوارجهم فوق جبال طورس ألاَ ترى ان مصالحهم جمعت مئات الالوف من الجنود ودوَّخت بهم بلاد الترنسفال من اقصاها الى اقصاها . وكل وزير يهمل مصلحة بلادهِ المالية اهتماماً بغيرها فهو خائن عهد الامانة لامتهِ ولذلك لا يلام سلسبري اذا اهتمَّ بمصلحة بلادهِ ولم يهتم بسواها لان مصالح الغير لها مَن يهتم بها وليس في قوانين البشر ما يوجب على وزير دولة من الدول ان يهمل مصلحة دولتهِ ويهتم بمصلحة دولة اخرى

وفي غضون هذه الوزارة استُرجعت بلاد السودان بامر منهُ باغت بهِ الحكومة المصرية لما علم ان المعدات الحربية تهيأت لاسترجاعها . وخيف من وقوع الحرب بين انكلترا والولايات

المتحدة الاميركية بسبب التخوم في فنزويلا ثم انقضى الخلاف بالتحكيم . وضُمَّت بلاد الترنسفال الى الاملاك البريطانية بعد حرب شيبت الولدان . واتفقت الدول الاوربية على اخماد ثورة البكسر في الصين وحمَّلت الصين نفقات الحرب فامست مديونة لاوربا باموال طائلة تضطر ان توفي رباها سنة بعد سنة وتصغي الى اوامرها كما يصغي المديون الى الدائن والضعيف الى القوي . واعيدت الانتخابات مرة ثانية فزادت اكثريَّة المحافظين والمتحدين معهم وترك سلسبري حينئذٍ وزارة الخارجيَّة وبقي في رئاسة النظار . وفي العام الماضي امضيت محالفة بين انكلترا واليابان الى خمس سنوات وهو الذي وضع اساسها . وتوفيت الملكة فكتوريا فاقرَّهُ ابنها في منصبهِ وكان يود ان يحضر تتويجهُ ثم يستعفي من مناصب الحكومة لشيخوختهِ وضعف صحتهِ ولكن التتويج تأَخر بسبب مرض الملك فاضطرَّ ان يستعفي قبلهُ ورفع استعفاءَهُ في ١١ يوليو من العام الماضي فاثنت البلاد كلها مع ملِكها عليهِ لانهُ خدمها خدمة صادقة بالهمة والنشاط والحكمة والسداد

وخُطَب سلسبري ومقالاتهُ التي نشرها في الجرائد والمجلات تملأُ مجلدات كبيرة ويظهر منها كلها انهُ كان محبًّا لوطنهِ عاملاً على رفع منارهِ يخالف غلادستون في بعدهِ عن الافراط والتفريط وكان لهُ في زوجتهِ اكبر معين فانها كانت تشاركهُ في اشغالهِ السياسيَّة فيطلعها على كل شيء ويعتمد على رأْيها وهي كانت من نوابغ النساء عقلاً وذكاء ثم لما مرضت وتوفيت جعل اعتمادهُ بعدها على ابنتهِ الصغرى فكانت بمقام كاتم اسرارهِ

وكان شديد التدين متمسكًا بعقائد الكنيسة الانكليزية وتدينهُ كان الجامعة بينهُ وبين غلادستون وسبب التواد بينهما مع انهما كانا في السياسة على طرفي نقيض. ولولا خوضهُ غمار السياسة لكان من العلماء الطبيعيين الذين يشار اليهم بالبنان. ولم يترك البحث العلمي ولاسيما في الكيميا فكان يلجأُ اليها كلما طلب الراحة من متاعب السياسة

ولم يكن شديد الالفة ولا خبيرًا باقدار الناس بنوع عام لكنهُ كان يعرف الناس المشتغلين معهُ ويقدرهم قدرهم وكانت الملكة فكتوريا تكرمهُ وتعدهُ من اصدقائها المخلصين لعرشها وتثق بآرائهِ السياسيَّة ثقة تامة . وكان الاعيان كلهم يجلون قدرهُ ويصغون الى اقوالهِ كانها منتهى الحكمة والسداد وقد كانت كذلك لانها مبنية على اسس وطيدة وهي احترام الحرية الشخصية وحقوق الغير والاحتفاظ بما ورثتهُ الامة الانكليزية من اسلافها من المجد والعظمة والابتعاد عن الحروب وويلاتها بكل واسطة ممكنة. هذا لباب سياستهِ التي اقامها مدة خدمتهِ لبلادهِ

بحث في الكامل

﴿ النقد عند الافرنج ﴾ تفرَّغ بعض كتَّاب الغرب للنقد حتى صار عندهم علماً خاصًّا برأسهِ وجُعلتْ لهُ جرائد ومجلاَّت همُّها نقد التآليف وتبيان صحيح الكلام من فاسده مِمَّا لا تخفى فائدتهُ للمطالع واصحاب التآليف والمتصدين للافادة ان كانوا احياء . ولقد اشتركتُ في احدى المجلاَّت العلمية الباريزية ست سنين كانت جُلُّ استفادتي من مقالة ينشرها رئيس التحرير وهي في نقد تأليف نُشر حديثًا . فيبدأُ الناقد بذكر المؤلف اولاً وايراد طرف من ترجمة حياتهِ وتعيين منزلتهِ من العلم والادب ثم يجول في المؤلَّف جولة يبين فيها موضوعهُ وثمرتهُ غضةً كانت او فجّة . وهنا بيت القصيد في هذا الباب والفائدة التي يستلذ اقتباسها الراغبون في الوقوف على الحقائق والعمل بمضامينها . وإنَّ من عزّت اوقاتهُ وبعُد عليهِ التقاط المعارف من مظانها وطلبها من تضاعيف الصحائف ليستغني بتلاوة اعمدة قليلة عن الخوض في المطوّلات ويجتزئ من تعبهِ بتعب غيرهِ

فالنقد عند الغربيين من الفنون الراقية كما كان عند العرب ايام استبحرت حضارتهم وزخرت بحار علومهم . وطريقة العرب عبارة عن شروح وردود والمقصد واحد . وقد رأيت ان أُحاول احتذاء مثال الاسلاف والاحلاف وان لم يدرك الظالع شأو الضليع ولم يتساوَ قُلٌّ وكُثر فتخيرت الكتب القديمة بدل الحديثة اذ قلما يؤلف لعهدنا بلغتنا ما يستحق عناء البحث على هذه الطريقة فابدأُ الآن بالكلام على كتاب الكامل في اللغة والادب . والتأليف كما قال ابو حيَّان يكون اما لاختراع معدوم او لجمع متفرق او تكميل ناقص او تفصيل مجمل او تهذيب مطول او ترتيب مخلَّط او تعيين مبهم او تبيين خطإٍ

﴿ مؤلف الكتاب ﴾ هو ابو العباس محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمُبرَّد المتوفى سنة ٢٨٥هـ كان اماماً في النحو واللغة الَّف التآليف النافعة منها كتاب الكامل وهو من أُمهات كتب الادب في العربية ومنها كتاب المقتضب والروضة وغيرهما . ذكر ابن خلكان ان المبرّد اخذ الادب عن ابي عثمان المازني وابي حاتم السجستاني واخذ عنهُ نفطويهِ وغيرهُ من الائمة . وكان المبرّد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب صاحب كتاب الفصيح للاستكثار منهُ وثعلب يكره ذلك ويمتنع منهُ . قيل لختَن ثعلب (زوج ابنتهِ) لِمَ يابى ثعلب الاجتماع بالمبرّد فقال لان المبرّد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وثعلب مذهبهُ مذهب المعلمين فاذا

اجتمعا في محفل حكمٍ للمبرّد على الظاهر الى ان يُعرف الباطن . وكان المبرّد كثير الامالي حسن النوادر ونظم فيهِ وفي ثعلب ابن العلاّف ابياتاً سائرة وهي

ذهب المبرّد وانقضت ايامهُ وليذهبنْ إثر المبرّد ثعلبُ
بيت من الآداب اصبح نصفهُ خرِبًا وباقي بيتها فسيخربُ
فابكوا لما سلب الزمان ووطّنوا للدهر انفسكم على ما يسلبُ
وتزوّدوا من ثعلب فبكاس ما شرب المبرّد عن قريب يشربُ
وارى لكم ان تكتبوا انفاسهُ ان كانت الانفاس ممّا يكتبُ

وكان المبرّد كثيرًا ما ينشد في مجالسهِ

يا من تلبس اثوابًا يتيهُ بها تيهَ الملوك على بعض المساكين
ما غيّر الجُلُّ اخلاق الحمير ولا نقش البراذع اخلاق البراذين

﴿ وصف التأليف ﴾ كتاب الكامل " يجمع ضروبًا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثَل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة " فسّر ما وقع فيهِ من كلام غريب او معنى مستغلَق وشرح ما عرض فيهِ من الإعراب شرحًا شافيًا واجاد في انتقاء نُتَفٍ من صحيح الكلام الجزْل الذي يُتّخذ حجة في الصحة وانموذجًا في الفصاحة واظنّ المبرّد في اختيارهِ للكامل احسن من اختيارهِ للروضة وكأنهُ فيما يظهر جعل الكامل للصحيح من الكلام والروضة لفاسدهِ وبضدها تتبيّنُ الاشياء

ويخيَّل لي ان ابن عبدربّهِ الاندلسي لم ينصف المبرّد عند ذكرهِ في العقد الفريد سوء الاختيار وانهُ اغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار فقال : ألا ترى ان محمدًا بن يزيد النحوي على علمهِ باللغة ومعرفتهِ باللسان وضع كتابًا سماهُ بالروضة وقصد فيهِ الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الاّ ابرد ما وجد لهُ حتى انتهى الى الحسن بن هانىء وقلما يأتي لهُ بيت ضعيف لرقة فطنتهِ وسبوطة بنيتهِ وعذوبة ألفاظهِ فاستخرج لهُ من البرد ابياتًا ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها وهي :

ألا لا يلمني في العقار جليسي ولا يلحني في شربها بعبوسِ
تعشّقها قلبي فبغّض عشقها اليَّ من الاشياء كل نفيسِ

واين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكرهُ في كتاب الموالي فقال ومن الموالي الحسن بن هانىء وهو من اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيهِ ومن قولهِ

فجاء بها صفراء بكرًا يزفها اليَّ عروسًا ذات دَلٍّ معتقِ

فلما جلتها الكاس ابدت لناظري محاسنَ ليث بالجمال مطوّقِ

ومن قوله ساعٍ بكاس الى ناس على طرب كلاهما عجب في منظر عجبِ
قامت تُريك وشمل الليل مجتمع صبحاً تولّد بين الماء والعنبِ
كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء درٍ على ارض من الذهبِ

وجلُّ اشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها نخطر بها كلها وتخطاها الى التي جانستهُ في برده فما احسبهُ لحقهُ هذا الاسم المبرّد الاّ لبرده" انتهى

لا يتبرم المطالع بقراءة الكامل اذ يتراوح فيهِ بين النثر والنظم والآثار والاخبار على ان ابوابهُ ليست على نسق واحدٍ في الطول والقصر فقد ينتهي الفصل الواحد في صفحتين او ثلاث وقد ينتهي الآخر الى مئة وخمس واربعين صحيفة او اقلّ من ذلك كما هو الشأن في باب اخبار الخوارج فانهُ استغرق خمس الكتاب مع انهُ لم يبدأهُ على ما قال لتتصل فيهِ اخبارهم "ولكن ربما اتصل شيء بشيء والحديث ذو شجون ويقترح المقترح ما يفسخ بهِ عزمَ صاحب الكتاب ويصدّهُ عن سننهِ ويزيلهُ عن طريقتهِ". بهذا اعتذر المصنف عن هذا الباب وقد اجاد فيهِ ما شاء واتى من انباء زعماء الخوارج بما يبعث معناهُ الاسى في النفوس ويحكم مبناهُ ملكة الفصاحة في الالسن مثل اخبار عمران بن حطان وقَطَريّ بن الفجاءة وغيرهما من رجال الاسلام وامراء الكلام

والمؤلف في كل ما اوردهُ من الفوائد التاريخيّة والادبيّة ابان عن افكار سامية ومقاصد شريفة فهو حرٌّ فيما نقل حرٌّ فيما أملى متفضّل على التاريخ فيما ضم شتاتهُ من اخبار الاباضية والصفرية والازارقة . وربما سئم بعضهم من ذكر اسماء وانباء يقرأها ولا يكاد يفهمها في الغالب فعليهِ اذا وقع لهُ شيء من ذلك ان يتّهم عقلهُ وعلمهُ فقد طال العهد بيننا وبين العرب الخُلّص وضَعُف سَنَدُ علومهم بحيث اصبحنا لا نقدر ما ورثوناهُ حقّ قدرهِ الاّ اذا توفر المرء على الدراسة وخالطت تلك المعاني الروح مخالطة الصهباء للماء وتمكنت من النفوس تمكن الفصاحة من السن العرب العرباء

﴿ منثور الكامل ﴾ في هذا الكتاب من الكلام المُرْسَل العربي البحت الذي لم تَشُبْهُ شائبة التكلف ما لو استظهرهُ من شدا شيئاً من الأدب لغلا قولهُ وسمت منزلتهُ . فما نقلهُ رسالة عمر ابن الخطاب في القضاء الى ابي موسى الاشعري "وهي التي جَمَع فيها جُمَلَ الاحكام واختصرها باجود الكلام وجعل الناس بعدها يتخذونها اماماً ولا يَجِدُ محق عنها مَعدلاً ولا ظالم عن حدودها محيصاً" وهي :

اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسُنَّة متبعة فافهم اذا أُدلي اليك فانهُ لا ينفع تكلُّم بحقٍ لا نفاذ لهُ. آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادَّعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الاَّ صلحًا احلَّ حرامًا او حرَّم حلالاً . لا يمنعنك قضاءٌ قضيتهُ اليوم فراجعتَ فيهِ عقلك وهُدِيتَ فيهِ لرُشدك ان ترْجع الى الحق فان الحقَّ قديم ومراجعة الحق خيرٌ من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ممَّا ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادَّعى حقًّا غائبًا او بينة أمدًا ينتهي اليهِ فان احضر بينتهُ اخذت لهُ بحقهِ والاَّ استحللتَ عليهِ القضية فانهُ انفى للشك واجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض الاَّ مجلودًا في حدٍّ او مجرَّبًا عليهِ شهادة زُور او ظنينًا في ولاءٍ او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان . واياك الغلَق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكُّر عند الخصومات فان الحقَّ في مواطن الحق يُعظِم الله بهِ الاجر ويحسن بهِ الذُّخر فمن صحَّت نيتهُ واقبل على نفسهِ كفاهُ الله ما بينهُ وبين الناس ومن تخلَّق بما يعلم الله انهُ ليس من نفسهِ شانهُ الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجلَّ في عاجل رزقهِ وخزائن رحمتهِ والسلام

وهنا اندفع المؤَلف على عادتهِ في شرح المستغلق من "حكيم الاخبار وبارع الآداب" فقال ما ملخصهُ : قولهُ آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك سوِّ بينهم وتقديرهُ اجعل بعضهم أُسوة بعض . لا يطمع شريف في حَيْفك في ميلك معهُ لشرفهِ . فيما تلجلج في صدرك تردد واصل ذلك المضغة والاكلة يرددها الرجل في فمهِ فلا تزال تتردد الى ان يسيغها او يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها باخرى يقال للعيي لجلاج وقد يكون من الآفة تعتري اللسان . ظنينًا في وَلاءٍ او نسب هو المتهم واصلهُ مظنون وهي ظننت التي تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننتُ بزيد وظننت زيدًا اي اتهمتُ . درأَ دفع . الغلَق ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوء الخلق رجل غَلِقٌ من قولهم أُغلق عليهِ امرهُ اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن اي لم يوجد لهُ تخلُّص

ومما يروى لاختصارهِ وسمو افكارهُ ما اوردهُ من ان الاحنف بن قيس لما مات وكان موتهُ بالكوفة مشى المصعب بن الزبير في جنازتهِ بغير رداءٍ وقال اليوم مات سيد العرب فلما دُفن قامت امرأَة على قبرهِ فقالت : "لله دركَ من مُجَنٍّ في جَنَن (اي مستور في قبر) ومُدْرَج في كفن فنسأَل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير

دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنتَ في المحافل شريفاً وعلى الارامل عطوفاً ولقد كنت في الحيّ مُسوَّدا والى الخليفة موفَّدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين " . قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة ابلغ ولا اصدق معنى منها . قلت ومن طالع سيرة الاحنف وخبر تلك النفس الكبيرة يرَ ان رثاء هذه المرأة لهُ من ابلغ ما خطهُ الرجال والنساء وتمثل لهُ سلامة الفطرة الخالصة عن رَين التصنع . واحرِ ببعض من يدعون الادب لعهدنا فينبرون في المقابر لتأبين ميت عزيز ان يقتدوا بهذه الاعرابية في اختصار مراثيهم فما قلَّ وقرَّ خير ممَّا كثر وفرَّ . فان بعضهم قد يستوقفون الحضور ساعة في وهج الشمس وبرد الشتاء يلوكون الكلام ويبعدون عن المرام فتكون المصيبة ثنتين عناء الخُطَب وعناء الخَطب

❊ منظومة ❊ يظهر ان المبرّد طالع كثيراً من دواوين العرب وانتقى طرفاً صالحاً منها فجاء ما وقع اختيارهُ عليهِ زبدة لزُبد كما هو الشأن في ديوان الحماسة الذي اختارهُ ابو تمام الطائي من شعر العرب العرباء ومن الانموذجات ما نقلهُ من طريف شعر الحرث بن ظالم من قولهِ وكانهُ شعر معاصر

فلما فقدتُ الصوت منهم واطفئتْ ... مصابيح شُبّت بالعشاء وانؤُرُ
وغاب قُمَير كنتُ ارجو غيوبهُ ... وروّح رعيان ونوَّم سُمَّرُ
ونفَّضتُ عني العين اقبلت مشية الـ ... حُباب وركني خيفة القوم ازورُ
فحييتُ اذ فاجأْتها فتولَّهت ... وكادت بمكنون التحية تجهرُ
وقالت وعضَّت بالبنان فضحتني ... وانت امروءٌ ميسور امرك اعسرُ
اريتك اذ هنَّا عليك الم تخف ... رقيباً وحولي من عدوّك حُضَّرُ
فوالله ما ادري اتعجيل حاجة ... سرت بك ام قد نام من كنت تحذرُ
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... اليكِ وما عين من الناس تنظرُ
فيا لك من ليل تقاصرَ طولهُ ... وما كان ليلي قبل ذلك يَقصُرُ
ويا لك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يُكدّرهُ علينا مكدّرُ
يمجُّ ذكيَّ المسك منها مفلَّج ... رقيقُ الحواشي ذو غروب مؤشَّرُ
يرفُّ اذا يفترُّ عنهُ كأنهُ ... حصى برَد او أُقحوان منوّرُ
وترنو بعينيها اليَّ كما رنا ... الى رَبْرب وسط الخميلة جؤذرُ
فلما تقضَّى الليل الاَّ اقلَّهُ ... وكادت توالي نجمهِ تتغوّرُ
اشارت بان الحيَّ قد حان منهم ... هبوبٌ ولكن موعدٌ لك عزوَرُ

فما راعني الأ منادٍ برحلهِ وقد لاح مفتوق من الصبح اشقرُ
فلما رأت من قد تثوَّر منهم وايقاظهم قالت أشِر كيف تأمرُ
فقلت أُباديهم فإما افوتهم واما ينال السيف ثأرًا فيثأرُ
فقالت: اتحقيقاً لما قال كاشحٌ علينا وتصديقاً لما كان يؤثرُ
فان كان ما لا بدَّ منهُ فغيرهُ من الامر ادنى للخفاء واسترُ
اقصُّ على اختيَّ بدء حديثنا وما لي من ان تعلما مُتأخِّرُ
لعلَّهما ان تبغيا لك مخرجاً وأن ترحُبا سربًا بما كنتُ أحصَرُ
فقامت كئيباً ليس في وجهها دمٌ من الحزن تذري عبرة تتحدَّرُ
فقالت لاختيها اعينا على فتى اتى زائرًا والامرُ للامر يُقدَرُ
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا اقلي عليك الهمَّ فالخطب أيسرُ
يقوم فيمشي بيننا متنكرًا فلا سرُّنا يفشو ولا هو يظهرُ
فكان مجنِّي دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومُعْصرُ
فلما اجزنا ساحة الحيِّ قُلن لي الم تتقِ الاعداء والليل مُقْمِرُ
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرًا اما تستحي او ترعوي او تفكِّرُ

(شرحهُ: شبّت اوقدت. انؤُر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو. قُمَيْر انما صغرهُ لانهُ ناقص عن التمام وهذا في اول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد. السمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلاً. والحباب حية بعينهِ. نفضتُ عني العين احترست منها وامنتها والنَّفْضة امام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق. أزوِر يعني متجافياً يقال تزاور فلان اذا ذهب في شق. ذو غروب. غرب كل شيءٍ حدهُ وانما يعني الاسنان. ومؤَشر لهُ أُشر وهو تشرير الاسنان في قول الناس جميعاً يقال لاسنانهِ أُشر فهذا الشائع الذائع واما الشنب فهو عندهم جميعاً برْد في الاسنان. التوالي التوابع. تغور تغور فتذهب مأخوذ من الغور. هبوب انتباه. عزوَر موضع بعينهِ. أَيقاظهم جمع يقظ. اباديهم اظهر لهم. ان ترحبا تتسعا اي تتسع صدورها من قولهم فلان رحيب الصدر. أحصر أُضيق بهِ ذرعاً. مِجَنّي ترسي. وقولهُ ثلاث شخوص والوجه ثلاثة اشخص ولكنهُ لما قصد الى النساء انَّث على المعنى وابان ما اراد بقولهِ كاعبان ومعصر)

﴿جملة فوائدهِ﴾ من يدرس الكامل تتوفر لديهِ مادَّة مهمة من فُصُح اللغة وشواردها ويقف على جانب من قواعد النحو والصرف والبيان مما لا غنى لمتأدب عن معرفتهِ دع ما هنالك

من اخبار الخلفاء ومجالس العلماء . فمما نصَّ عليهِ من الفوائد عند شرحهِ : — قتلنا اخانا للوفاء بجارنا — ان ذلك يكون على ضربين احدهما ان يكون فخَّم نفسهُ وعظمها فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع بهِ والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كبرًا ولا ينبغي على حكم الاسلام ان يكون هذا مستعملاً الاَّ عن الله عز وجل لانهُ ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى : انا انزلناه في ليلة القدر . وانا اوحينا اليك . وكل صفات الله اعلى الصفات واجلها فما استعمل في المخلوقين على تلك الالفاظ وان خالفت في الحكم فحسَن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الاَّ ما وصفنا قبلُ من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار او متكبر كان عليهِ عيباً ونقصاً وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبعدهما من الصواب لانهما للمبديء المعيد الخالق البارىء ولا يليق ذلك بمن تكسرهُ الجوعة وتطغيهِ الشبعة وتنقصهُ اللحظة وهو في كل أُموره مُدَبَّر

ومما يؤثر من اخبار الخلفاء ما رواهُ عن الربيع بن زياد الحارثي وكان عاملاً لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليهِ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ يأمرهُ بالقدوم عليهِ هو وعمَّالهُ وان يستخلفوا جميعاً . قال فلما قدمنا اتيتُ يرفأَ (مولى عمر) فقلت يا يرفا مسترشدٌ وابن سبيل اي الهيئات احبُّ الى امير المؤمنين ان يرى فيها عمَّالهُ فأوما اليَّ بالخشونة فاتخذت خُفَّين مطارقَين ولبست جُبَّة صوف ولُثت عِمامتي على رأسي فدخلنا على عُمَر فصفنّا بين يديهِ فصعَّد فينا وصوَّب فلم تأخذ عينهُ احداً غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولَّى من اعمالنا قلتُ البحرين قال كم ترتزق قلت الفاً قال كثير فما تصنع بهِ قلت اتقوَّت منهُ شيئاً واعود بهِ على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا باس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعَّد فينا وصوَّب فلم تقع عينهُ الاَّ عليَّ فدعاني فقال كم سنُّك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت . ثم دعا بالطعام واصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوَّعت لهُ فأُتي بخبز واكسار بعير فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأُجيد فجعلت انظر اليهِ يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت اقول يا امير المؤمنين ان تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فيؤْتى بالخبز ليناً واللحم غريضاً . فسكن من غربهِ وقال اهينا غُرْتَ قلت نعم فقال يا ربيع انَّا لو نشاء ملانا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأَيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا . ثم امر ابا موسى باقراري وان يستبدل باصحابي

(قولهُ فلثتها على رأسي ادرت بعضها على بعض على غير استواء الصلائق ما عمل بالنار طبخًا وشيًّا يقال صلقت الجنب اذا شويتهُ وصلقت اللحم اذا طبختهُ على وجههِ . وسبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤْخذ خالصهُ يريد الحوَّارى والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابيٌّ اذا كان في ذلك اللون . اكسار بعير فان الاكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليهِ من اللحم . نعى على قوم شهواتهم عابهم بها ووبخهم . غرت ذهبت يقال غار الرجل اذا اتى الغور وناحيتهُ ممَّا انخفض من الارض وانجد اذا اتى نجدًا وناحيتهُ ممَّا ارتفع من الارض . غربهُ حدهُ . خفين مطارقين مطبقين يقال طارقت نعلي اذا طبقتها ومن قال طرقت او اطرقت فقد اخطأ)

هذا ما ساعد عليهِ المقام للبحث في الكامل وهو على الجملة من خير ما في الايدي من كتب الادب مشكول محل الاشكال من الفاظهِ تغلب الصحة والضبط على الطبعة المصرية منهُ حريٌّ بالمكاتب ان تزدان بهِ وبالناس ان يتأدبوا بالنظر فيهِ ولا غرو فهو الكامل باسمهِ ومسماهُ والكمال لله وحدهُ

محمد كردعلي

فردريك الكبير ملك بروسيا

تمهيد — اذا بسط القارئ اللبيب خريطة اوربا امامهُ يري في شماليّ المانيا على سواحل البلطيك بقعة من الارض حول برلين يقال لها براندنبرج Brandenburg كانت امارةً مستقلة تحت زعامة مركيز من آل هوهنزلرن Hohenzollern والى شرقيها بقعة اخرى يقال لها امارة بروسيا تحت امرة دوق . ففي بدء القرن الثامن عشر كان صاحب براندنبرج اميرًا خطيرًا ذكيّ الفؤَاد وفيهِ دهاءٌ سياسيٌّ وطمعٌ شديد فغلب على بروسيا وضمها الى امارتهِ وجعلهما مملكة واحدة باسم مملكة بروسيا بمصادقة امبراطور المانيا واتخذ برلين عاصمة واقام فيها ملكًا باسم الملك فردريك الاول وكان لهُ ولد في العاشرة من عمرهِ اسمهُ فردريك وليم جعلهُ وليًّا للعهد حتى اذا ادرك الثامنة عشرة زوَّجهُ بصوفيا دوروثي بنت جورج منتخب هانوفر الذي تبوأ بعد حينٍ عرش انكلترا وتلقب الملك جورج الاول

مولد فردريك وحداثتهُ

وفي ٢٤ يناير سنة ١٧١٢ وُلد لولي العهد غلامٌ سماهُ فردريك والمملكة البروسيَّة يومئذٍ في السنة الثانية عشرة من عمرها فلما بلغ الشهر الرابع عشر توفي جدهُ فردريك الاول مؤسس

الدولة ووُلدت الاريكة لابيهِ فردريك وليم فاصبح هذا الطفل وليًّا لعهدهِ

وكان الملك الجديد غريب الاطوار غرابةً حملت مؤرخيهِ على رميهِ بالجنون فبدأ ملكهُ بصرف بطانتهِ وخدمهِ وبيع خيولهِ والاقتصاد في النفقات واطّراح ما توجبهُ ابهة الملك والرجوع الى شظف العيش والكد في العمل . ولو وقف عند هذا الحد لاجاد وافاد ولكنهُ تجاوز الى الافراط فيهِ فكان يسير بين الناس في الشوارع متوكئًا على عصاهُ يضرب بها من غير حساب كل من استثار غضبهُ ولو كان الذنب طفيفًا كحسن البزة والاقتداء بالفرنسويين ولا فرق عندهُ ان يكون المضروب رجلاً او امرأةً والرجل كبيرًا او صغيرًا ولهذا كان الناس يهربون من بين يديهِ

ومع ان المملكة كانت ضيقة النطاق ودخل خزينتها قليلاً فان الاقتصاد مكَّن صاحبها من جمع المال الكافي لحشد جيش جرّار يناهز المئة الفٍ من الرجال ومن تدريبهِ تدريبًا حسنًا حتى اصبح قوةً عظمى تضاهي قوى اعظم الدول يومئذٍ على انهُ كان يقوم على تدبير ذلك بنفسهِ غير مدخرٍ وسعًا ولا مشفقٍ على الجند من تحمل الصعاب

ورأى ان يربي ابنهُ تربيةً عسكرية ليكون جنديًّا ولكن الطفل كان نحيفًا ولم تبدُ منهُ امارات النشاط والقوة اللازمتين للجندي فضلاً عن انهُ كان محبًّا لاختهِ ولهلمينا حبًّا مفرطًا وفيهِ ميل للقراءة والموسيقى فحسبها ابوهُ تخنثًا ونشأت فيهِ عاطفة الاحتقار للطفل ثم ازدادت شدةً حتى صارت كرهًا

كل هذا وفردريك او فريتز كما كانت تدعوهُ اسرتهُ طفل صغير فلما بلغ السادسة من عمرهِ حشد ابوهُ سريةً من ابناء السراة عدتهم مئة وجعلهم تحت امرةِ ابنهِ ثم زاد في عددهم حتى صاروا كتيبةً اقام فريتز عليها قائدًا برتبة امير الاي (كولونل)

وفي السنة السابعة من عمرهِ سلمهُ للمعلمين وامرهم ان يعلموهُ العلم والفن العسكري بمنتهى الشدة والصرامة غير مشفقين عليهِ ولا ناظرين الى مقامهِ منهم فاحتمل من هذا التعليم اشد العناء سيما من استصحاب ابيهِ لهُ في رحلاتهِ وفي استعراض الجيوش

وترعرع فريتز ناشئًا على غير ما احب ابوهُ من الاميال والاذواق لان فردريك وليم اراد تعويدهُ شظف العيش في الطعام والمنام واللباس والمبيت فلم يقع ذلك من الغلام موقع القبول بل كان عليهِ مرغمًا

ولم يكن هذا كل الاختلاف بين الاب وابنهِ بل اختلفا في التعليم ايضًا لان الملك كان اميًّا لا يحسن القراءة والكتابة بخلاف فريتز فانهُ مال الى المطالعة منذ الصغر وكلف بدراسة اللاتينية كلفًا شديدًا غير ان اباهُ كان يكره تلك اللغة حتى اذا دخل يومًا على ابنهِ وهو يقرأ على

استاذهِ في كتابٍ لاتيني احتدم غيظاً ورفع عصاهُ ليضرب الاستاذ ففرَّ هارباً

واذا كان هذا مبلغ سخط الملك من دراسة لغةٍ كانت لذلك العهد عنوان العلم والحكمة عند الاوربيين فكيف يوآخذ على غضبهِ من اشتغال ابنهِ بالموسيقى ونظم الشعر

وما برحت مسافة الخلف تزداد بينهما انفراجاً يوماً بعد يومٍ حتى تنغَّص عيش الصبي وبات لا يرى لهُ فرجاً الاَّ بمحبة امهِ واختهِ ولهفتهما عليهِ غير ان الملك شعر بمقامهِ منهما فسرت اليهما بغضاؤهُ — كل ذلك والصبي دون العاشرة من عمرهِ على انهُ في تلك الآونة رُزق الملك صبي آخر سماهُ اغوسطس وليم فمال اليهِ وتمنى لو يموت فريتز فتكون ولاية عهدهِ للطفل وهو ينشئهُ على ما يجب . ومع هذا كلهِ ما برح يشدد النكير على فريتز ليتخلق باخلاقهِ

اماني الملكة

كانت الملكة صوفيا دوروثي من فضليات النساء اللواتي يحرصنَ على اولادهن وينظرن نظراً بعيداً الى مصالحهم وكان لاخيها (جورج) ولي عهد انكلترا ابن اسمهُ فردريك دوق كلوستر هو خليفتهُ من بعدهِ وابنة حسناء اسمها اميليا فخطر للملكة ان تسعى بزواج ابنها باميليا وابنتها ولهلمينا بابن اخيها الاَّ انها صادفت صعاباً لان اخاها وزوجها كانا قد اجتمعا في حداثتهما واختلفا فاختصما ونتج عن خصامهما كرهٌ شديد . فضلاً عن ان بعض الدول الاوربية رأت ان العقد المزدوج يزيد الرابطة وثوقاً بين انكلترا وبروسيا فتنال هذه بذلك حولاً وعزة

الاَّ ان الملكة لم تدخر وسعاً بل سعت جهدها فاقرَّ البلاط الانكليزي على خطبة الاميرة ولهلمينا لدوق كلوستر ولكنهم لم يقطعوا العدال في اعطاء يد الاميرة اميليا لفريتز

وكان لامبراطور المانيا سلطة على الملوك والامراء الخاضعين لسيادتهِ فكأَنهُ رأى يومئذٍ ان بروسيا على صغرها اصبحت ذات حولٍ وطول بقوة عسكرها المدرَّب وان خزينتها قد طفحت بالنقود فخاف من استفحال امرها اذا تمَّ العقد المزدوج الذي تسعى اليهِ الملكة فاصدر امراً يحظر بهِ الزواج المنويّ

ولم يكن الملك فردريك وليم ليمتعض لهذا المنع لانهُ ينطبق على رأيهِ وانما كان راغباً فقط في تزويج ابنتهِ بالامير الانكليزي وليس براضٍ عن تزويج ابنهِ لئلا تجيء عروسهُ من انكلترا بالثروة الطائلة وبالعيش الهنيء الذي لا يرضاهُ ويخشى ان يلتفَّ حولها جماعة من بطانته فيتألف لابنهِ حزبٌ ينازعهُ الامر على ان في رفضهِ واصرارهِ مخالفة يتوخاها لملك انكلترا . ولهذا كلهِ رضخ للامر الامبراطوري واجاب انهُ يسمح بزواج ابنتهِ فقط اما ابنهُ فلا ولما علم ملك انكلترا بذلك اعلن انهُ راغب في العقدين معاً وليس في واحدٍ منهما فقط

وفي يونيو سنة ١٧٢٩ ورد نعي الملك جورج ملك انكلترا ومع ان فردريك وليم كان يكرههُ شديداً تأثر لموتهِ وشرع يظهر التديّن والتقشف

يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً لكنها خطراتٌ من وساوسهِ

وفي تلك السنة استصحب ابنهُ وهو في السابعة عشرة من عمرهِ للاجتماع باغسطس ملك بولونيا وقد اتى درسدن عاصمة ساكسونيا فاقام فريتز ثمة نحواً من شهرٍ حيث كان البلاط مملوءًا بالفساد فوقع في شركهِ حتى اذا عاد الى بوتسدام مرض مرضاً شديداً لازمتهُ الوعكة منهُ زمناً طويلاً بعد شفائهِ

اما امهُ فظلَّ مبدأُ العقد المزدوج شغلها الشاغل لان اخاها جورج الثاني تولى الاريكة الانكليزية واصبح ابنهُ وليًّا لعهدهِ ولم يكن فريتز قد رأى اميليا ابنتهُ ولكنهُ رأى صورتها وابصر عليها ملامح الجمال فرغب فيها وكتب الى امها باشارة الملكة ينوه برغبتهِ في مصاهرتها من غير ان يعلم ابوهُ بشيءٍ من ذلك ولو علم لقامت قيامتهُ لان كره الفتى كان قد بلغ فيهِ اشدهُ واصبح يحقرهُ ويضربهُ في الاحايين بقبضة يدهِ على اذنيهِ او بعصاهُ اينما اتفق كل هذا وفريتز يحاول استرضاءهُ عبثاً فكتب اليهِ مستعطفاً فاجابهُ معنفاً لائماً محقراً ما شاءَت فظاظة اخلاقهِ

واذ كان مدمناً شرب الخمر أُصيب بداء النقرس فزادت بهِ شراسة الخلق وشكاسة الطباع واصبح يندفع بالشتائم والسباب على امرأتهِ وكل اسرتهِ حتى لم يبقَ لاحدٍ منهم جسارة عليهِ الاَّ بنتهُ الثانية فردريكا على انها كانت يومئذٍ في الخامسة عشرة من عمرها وقد اوشكت تزف لخطيبها الماركيز انسباخ فسأَلها ابوها يوماً على المائدة عما تنوي عملهُ في ترتيب بيتها بعد زواجها فاجابت انها تجعل طعام مائدتها احسن من طعامهِ وخدمتها اكثر ترتيباً واذا رزقها الله اولاداً عاملتهم بالحسنى على غير ما يعامل اولادهُ ولا تجبرهم على اكل ما يكرهون

فامتعض لهذا الجواب واحتدم غيظاً ولكن على ولهلمينا وفريتز وشرع يضربهما بصحاف الطعام فلما اخطأَها عنف الملكة لسوء تربية اولادها . فنهض القوم عن المائدة ولكنهم لم يجدوا منصرفاً الاَّ بالمرور من امام كرسيهِ فرفع عكازهُ وصوَّبهُ على رأس ولهلمينا نخلت من تحت الضربة ولو اصابتها لاودت بحياتها فلم يرضهِ هربها واوعز الى الخدم ان يجروا الكرسي الجالس عليهِ ليلحق بها وكاد يدركها لو لم يفسح اولئك الخدام لها مجالاً

وفي ذات مرةٍ كان فريتز يتعلم الموسيقى على استاذ ساكسوني اسمهُ كوانتز وهو مستترٌ في بوتسدام فدخل عليهِ الرقيب واخبرهُ بوصول ابيهِ وكان الفتى لابساً حلة افرنسية فخلعها ولبس الرداء العسكري وجلس يتظاهر باشتغالهِ بدروسهِ فلما دخل الملك رآهُ ضافراً شعرهُ على

الطرز الافرنسي ثم ابصر الحلة التي خلعها عنهُ فاحتدم غضباً والقى بها في النار ومال الى المكتبة وجمع ما كان فيها من المؤلفات الافرنسية وامر كتبياً ببيعها بابخس الاثمان وعنَّف وليّ عهدهِ تعنيفاً شديداً

الجنون فنون

في سنة ١٧٣٠ ذهب فرديك وليم الى بولونيا واستصحب ابنهُ معهُ ليحضرا استعراض الجنود فلم يفتر عن اهانتهِ في حضرة مضيفهما ملك بولونيا وسراة بلادهِ من الرجال والنساء فعظم ذلك على فريتز حتى عقد العزم على الفرار الى انكلترا بصحبة صديقهِ الملازم كات ولكن علم ابوهُ بذلك فارسل وقبض عليهما ولما جيء بابنهِ الى حضرتهِ نهض اليهِ وقبض على مخنقهِ ثم اقتلع بيدهِ خصلة من شعر راسهِ وبعد ذلك ضربهُ بعصاهُ على وجههِ فادماهُ وامر بسجنهِ في احدى القلاع لانهُ اعتبرهُ من قادة الجند وقد حاول الفرار فاستحق العقاب بالموت وشرع يقول انهُ لا بد من الحكم عليهِ وعلى اختهِ ولهلمينا وقطع رأسيهما ولم يكن لولهلمينا ذنب الاَّ حبها لاخيها واشفاقها عليهِ ثم امر فقبض عليها وجيء بها اليهِ فشرع يضربها على صدغيها حتى اغمي عليها فاراد ان يقذف بها من النافذة ولكن امها واخوتها حالوا دون عملهِ ولما افاقت حبسها في حجرتها واقام رجلين على خفارتها

وعقد مجلساً حربياً حكم على الملازم كات بالحبس سنتين وقيل مدى الحياة فاغتاظ من حلم المجلس وامر بهِ فقتل في ساحة القصر وجاؤُوا بفريتز الى النافذة لدي مقتل صديقهِ فلما ابصر الرأس وقد تدحرج أُغمي عليهِ كأَنهُ علم انهُ حكم عليهِ بمثل ذلك

الاَّ ان سخط الملك لم يأخذ حدَّهُ لان امبراطور المانيا وملكي بولونيا واسوج عرفوا بعزمهِ على قتل ابنهِ واستفدحوا الخطب فيهِ فسعوا لديهِ بالعفو عنهُ فعفا

واعقب هذا ان فردريك وليم اراد غصب عاطفة ولديهِ فارغم ولهلمينا سنة ١٧٣١ على التزوج من مركيز بيريث .Baireuth واجبر فريتز على التزوج سنة ١٧٣٣ بالاميرة اليصابات بنت دوق برونسويك وكانت حسناء الخلق والخلق ولكن زوجها لم يمل اليها لانهُ غصب على التزوج بها حتى انهُ لما تمت حفلة الاكليل خرج من حجرتها ولم يرجع اليها قط فكان ذلك بدء انفصالها الذي استمرا عليهِ سحابة ايامهما غير ان فريتز لم يكن ليهمل احترامها ومراعاة شأنها في الرسميات بل كان ينيلها من نفسهِ مقام الاميرة زوجة وليّ العهد ثم مقام الملكة حين افضت الاريكة اليهِ بوفاة ابيهِ سنة ١٧٤٠

تملُّك فردريك

تولَّى فردريك (فريتز) الاريكة وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ بعد ان قاسى العذاب

من ابيهِ واحتمل مضض البلوى حتى اثَّرت السيئة في اخلاقهِ وكانت سعة مملكتهِ تناهز ٥٩ الف ميل مربع وعدد سكانها ٢ مليونين و٢٤٠ الفاً ولم يكن في دولتهِ دار ندوةٍ ولا دستور ولا شريعة غير ارادتهِ المطلقة فلما تبوأ الملك اعلن في الامة منشوراً يطلق فيهِ الحرية في الدين والآراء ونشر الكتب والجرائد

وكأن الاريكة بعثت فيهِ روحاً جديدة عرَّفتهُ الشأن الملكي فلم يحفل بالاصدقاء الذين كانوا يلتفون حولهُ ولاعاقب الاعداء الذين اظهروا لهُ الجفاء ولم يكن من قبل يبالي بالجندية بل كان يكره منها خشونة عيشها ولكنهُ مذ القيت اليهِ مقاليد الامور مال بكليتهِ اليها وشرع يزيد في عددها وبذل جهدهُ في الاهتمام بشؤُون الدولة مخصصاً للعمل بها معظم وقتهِ

وكان ميالاً الى العلم والعلماء فسعى في تقريبهم منهُ وتنشيطهم وزيادة سوادهم في مملكتهِ وانشأ لهم مجمعاً علميًّا وشرع يراسل علماء اوربا واخص منهم ڤولتر الفرنسوي الشهير

حروب فردريك ومغازيهِ

حدثتهُ نفسهُ منذ بدء جلوسهِ بالفتح والكسب فارسل سريةً من عسكرهِ الى حصنٍ قديم فامتلكهُ حتى افتداهُ صاحبهُ بمبلغ من المال

وبعد ذلك مات الامبراطور شارل السادس غير تاركٍ ولداً ذكراً فتولَّت اريكة النمسا ابنتهُ ماريا تريزا زوجة فرنسوى ديوك لورين وكانت في مقتبل العمر لم تحنكها التجارب وليس في خزينتها مالٌ وافر ولا في مملكتها جيش منظم فطمع فردريك في امتلاك شيءٍ من بلادها واتجهت انظارهُ الى قطرٍ على تخومها الجنوبية الشرقية يسمى سيليسيا Silesia فيهِ نحو مليونين من السكان ولم يرَ في اقتحامهِ وضمهِ الى مملكتهِ امراً عسيراً لخلوهِ من الحامية ومن الحصون والقلاع فلما انتصف الشتاء ولم يبقَ خوفٌ من ارسال بعوثها دخل القطر ودوخهُ في بضعة اسابيع وعاد الى برلين ظافراً منصوراً

فنهضت ماريا تريزا كأَنها اللبوة تحمي اشبالها فادهشت اوربا وحيَّرت فردريك فسيَّر الى سيليسيا ستين الفاً فاحتدم القتال وكان هائلاً لاسيما وان الدول الاوربية تحفزت للقتال وخاضت غمراتهِ في نصرة احد الفريقين جرياً مع السياسة على ان معظم الناس حتى الملوك والوزراء استعظموا فعلة فردريك واستعظموا نهضة ماريا تريزا ولكن فرنسا كانت ترغب في اضعاف النمسا فنصرت بروسيا وخالفتها انكلترا شأنها حينئذٍ في كل اعمالها وانحازت الى النمسا ودخول هاتين الدولتين في الحرب جرَّ ذيلهُ على غيرهما من الدول الاوربية كاسوج وبولونيا فضلاً عن الممالك والامارات الالمانية فاصبحت اوربا كشعلة نار اتصل لهيبها الى مستعمرات

الدولتين فرنسا وانكلترا ولا تسل عن الدم المهراق وعن المال المبذول فان ذلك يكاد لا يقع تحت الحصر ولما وقع النزال اظهر فردريك من الحنكة والدربة في ابواب القتال والدهاء في السياسة ما اكسبهُ الظفر ولكنهُ لم يرعَ للفرنسوية عهداً بل صالح على امتلاك نيس Neisse سرًّا عن انصارهِ وعاد الى برلين في اواخر سنة ١٧٤١ ظافراً

ثم سعى فحالف فرنسا وساكسونيا وباڤاريا على تجديد الحرب لامتلاك ولاية موراڤيا Moravia النمسوية الواقعة الى جنوبي سيليسيا حتى اذا تمَّ لهم الظفر احتزَّ منها قطراً عرضهُ نحو خمسة اميال على طول تخومهِ وترك الباقي غنيمة لساكسونيا

وزحف في بدء سنة ١٧٤٢ غير مبالٍ بالامطار والثلوج والعواصف غير ان حلفاءهُ لم يكونوا مندفعين الى الحرب بمثل مطامعهِ فتلكأوا عن خوض غمرات القتال في ابَّان الشتاء فانفرد بالعمل لا يعبأُ بالصعاب وابلى ابلاءً حسناً حتى ظفر فعاقدتهُ النمسا على الصلح تاركةً لهُ سيليسيا . فشرع يسدد شؤُونها ويسعى بنشر الامن في بلادهِ منحرفاً في سياستهِ عن خطة حلفائهِ الى موالاة النمسا ظاهراً لكن ذلك لم يكن طويل الامد لان ماريا تريزا ارادت تتويج زوجها الدوك فرنسوى ده لورين امبراطوراً على المانيا فخالفها فردريك واحبط مسعاها بمساعدة فرنسا فانتخب شارل البرت ملك بافاريا امبراطوراً

ولم تكن ماريا تريزا قد اغترت بمصافاة فردريك ولكنها قعدت عنهُ حتى فازت عساكرها على فرنسا وفتحت بوهيميا وباڤاريا وطردت الامبراطور الجديد ورأَت ان الحروب الدامية قد مرَّنت عسكرها على القتال واظهرت حنكة بضعة من كبار قادتها واستفزت الامة للذود عن حياضها يومئذٍ حدثتها نفسها باسترجاع سيليسيا

فلما عرف فردريك بذلك مال سنة ١٧٤٤ الى فرنسا فحالفها وعاقد امبراطور المانيا المطرود على الولاء واشترط على حلفائهِ ان ينال جزاء الظفر ثلاثاً من ولايات بوهيميا

ثم اقتحم بوهيميا واحاط على حاضرتها براغ Prague وثمت وقعت الحرب الهائلة فجرَّت الويل على البلاد ونال عسكرهُ من الجوع والقتال نيلاً عظيماً حتى اضطر ان يلجأَ الى سيليسيا في ابان الشتاء وان يعاني في القهقرى اليها اشد العناء فانزل العسكر في قراها واتى برلين ليعد الاهبة لمتابعة الحرب وكانت غزواتهُ قد استنزفت مال الخزينة وما اذ دخر ابوهُ . ثم وردهُ النبأ بان النمسويين الظافرين لاحقون بعسكرهِ المخذول الى سيليسيا وان الامبراطور الالماني قضى نحبهُ كل ذلك وفردريك لم يظهر الضعف كأَن الصعاب لا تقوى على ايهان قواهُ اذ عاد الى ساحة الحرب وقاتل الاعداء قتالاً مريعاً فظفر بهم وردهم على الاعقاب خاسرين وفتح درسدن

عاصمة ساكسونيا وعاد الى برلين منصورًا سنة ١٣٤٦

فوضعت الحرب اوزارها بضع سنوات قضاها فردريك وهو يدبر شؤون بلادهِ ساعيًا في انماء ثروتها عاملاً على تحسين صنائعها وتعزيز تجارتها ونشر الآداب فيها

لكن ماريا تريزا لم تكن خلال ذلك راضية عن اغتصاب سيليسيا من قبضتها بل كلما ذكرت على مسمعها اذرفت عليها الدمع سخينًا وكان على اريكة روسيا يومئذٍ الامبراطورة اليصابات وهي تكره فردريك كرهًا شديدًا فمالت الى النمسا وحالفتها عليهِ وكانت بولونيا اتبع لروسيا من ظلها فلحق ملكها بالامبراطورة وكذلك انضمت فرنسا الى الحلفة لانهُ كان لملكها عشيقة يقال لها المار كيزة ده بومبادور وقد غلبت عشيقها على التصرف بامرهِ وكان قد بلغها ان فردريك يهزأ بها ويسخر من تسلطها فامتعضت وحملت الملك على الانضمام الى اعداء فردريك

وعلم فردريك بما كان وان القوم يتألبون عليهِ حتى اذا غلبوهُ اقتسموا بلادهُ بينهم لا يتركون لهُ منها الاَّ امارة صغيرة لا شأن لها فتحفز لمفاجأتهم وكانت فرنسا حينئذٍ تحارب انكلترا مصوّبة نظرها لامتلاك هانوفر فتحالف فردريك والانكليز لكن هذه الحلفة لم تجدِ بروسيا نفعًا لان قوة انكلترا كانت بحرية اكثر منها برية ولذلك انحصرت المساعدة الانكليزية باداء نحو ثلاثة ملايين ريال في السنة

اما فرنسا فحشدت على الرين جيشًا جرارًا وكذلك اجتمع الروس في بومارانيا والنمساويون على تخوم سيليسيا وانضم السويديون الى الحلفة ووقفوا في ليفونيا وبهذا التألب اصبحت بروسيا محاطة بنطاق من الاعداء غير ان فردريك سار بمئة الف من كماتهِ فاقتحم ساكسونيا وفتح عاصمتها درسدن وضرب على اهليها ضريبة فاحشة فجاء النمساويون لنصرة حلفائهم ووقعت بينهم الحرب هائلةً فاجلت عن انكسار النمساويين وارتدادهم فاسرع فردريك الكرة الى بوهيميا حيث وجد العدو مخيمًا في ظاهر حاضرتها براغ فحمل عليهم حملةً صادقة كثرت فيها القتلى من الجانبين ولكنها اجلت عن نصرهِ والتجاء النمساويين الى المدينة فحصرها وصب عليها نيران المدافع وفتك فيها الجوع والوباء وما زال يشدد عليها الحصر حتى جاء النمساويون لنجدتها فوقع القتال وانكسر فردريك فارتدَّ بمن بقي من جيشهِ الى قلعة برسلو في سيليسيا ولحق بهِ النمسويون والفرنسويون فواقعوهُ واجلوهُ عن القلعة وظنوا ان قوَّتهُ قد اضمحلَّت ولكنهُ عاد فكسرهم في اواخر سنة ١٧٥٧ واسر منهم عشرين الفًا وغنم غنائم وافرة وكرَّ على برسلو فملكها تسليمًا وزحف منها على الروس فردهم خاسرين وطردهم من البلاد ثم مال على الاسوجيين ففروا من لقائهِ

وفي الربيع التالي تجدد القتال فانكسر فردريك وشدَّ المتحالفون روابط الاخاء وانضمَّت

اليهم كل ممالك المانيا واماراتها الكاثوليكية لان بروسيا ونصيرتها انكلترا بروتستانتيتان فزحف سنة ١٧٥٩ عسكر المتحدين فرنسا والمانيا وروسيا وبولونيا واسوج على فردريك فلقيهم بثمانين الفاً عند فرنكفورت فكسرهم ابتداءً ولكنهم عادوا فكروا عليهِ وكسروهُ وارتدَّ في ظلام الليل فلم يلحقوا بهِ واذ كان هماماً لا تضعضع حوادثُ النوائب بل تزيدهُ همةً ونشاطاً اسرع فلمَّ شعث جيشهِ المكسور واستحضر المدافع من القلاع الداخلية فاصبح بعد اندحارهِ ببضعة ايام واقفاً لمواقعة العدو حتى زمن الشتاء. وتعذر القتال فانفصل المتحاربون ولكنهم عادوا في ربيع سنة ١٣٦٠

وكان كماة البروسيانيين المدربين قد ذهبوا وقوداً لنار الحرب فملأ فردريك مواضعهم بمن اخذ من الاحداث والفلاحين واسرى الاعداء حتى اجتمع لديهِ من هذا اللفيف خمس وسبعون الفاً برز بهم لقتال مئتين وخمسين الفاً وانما ناهضهم بحذقهِ وذكائهِ حتى ادهش العالم وحارب فانتصر في معظم المواقع واحبط مساعي المتحدين فارتدوا اونة الشتاء مدحورين

ولم تكن مواقع سنة ١٧٦١ ذات نتائج مهمة لان فردريك تحصَّن في موقعٍ منيع لم يجسر المتحدون على الدنو منهُ ولكنهم حصروهُ طويلاً حتى الشتاء فانقلبوا راجعين

يومئذٍ امسك الانكليز عن فردريك اداء المساعدة الماليَّة واوشك اليأس يستولي على البروسيانيين لو لم ترد الانباء بموت اليصابات امبراطورة روسيا في بدء سنة ١٧٦٢ فخلفها بطرس الثالث وكان كارهاً لماريا تريزا محبًّا لفردريك فاصدر امرهُ بانسحاب عسكرهِ من بين المتحدين وانضمامهم الى فردريك ولحق بهم الاسوجيون على الاثر غير ان فردريك لم ينتفع من هؤلاء النصراء لان بطرس الثالث قُتل وشيكاً وخلفهُ امرأتهُ كاترينا الثانية فاستدعت عسكرها من ساحة القتال

وبعث فردريك فدس لرجال الدولة العلية العثمانية ان يحاربوا النمسا فاجابوا ثم نهض وهاجم النمساويين فكسرهم كسرةً هائلة ذهبت بامال ماريا تريزا لما رأَت من فراغ خزينتها وتقدم العثمانيين اما فردريك فشرع ينهب بوهيميا وساكسونيا حتى اسرعت النمسا لمصالحتهِ مصدقةً على ضم سيليسيا الى ملكهِ فتمَّ الصلح سنة ١٧٦٣ وبهِ تمَّت حرب السنوات السبع

ولمَّا عاد فردريك الى بلادهِ ظافراً صرف عنايتهُ الى اصلاح مملكتهِ وتقدمها فاسرعت في الارتقاء على انها ولئن حاربت السنين الطوال واستطالت بالغلب على جوارها فما برحت ضيّقة النطاق قليلة الساكن لا تباري في السعة والعدد والغنى الدول العظمى التي بارتها في القتال ولذلك كان من مقاصد ملكها ان يوسع نطاقها ما وسعهُ الجهد

وكان في جوارهِ مملكة بولونيا مساحتها ٢٨٤ الف ميل مربع وعدد سكانها عشرون

مليونًا وهي تتاخم ايضًا النمسا وروسيا وكانت الفوضى ضاربةً اطنابها فيها فشرعت الدول الثلاث تتباحث في شؤُونها في خلواتٍ سريّة عازمةً على اقتسامها ولعلَّ هذا العزم خطر لفردريك اولاً لانهُ اشد معاصريهِ طمعًا وقد سعى لنيلهِ حثيثًا. الا تراهُ قدَّم لروسيا لائحةً اولى فشغلت عن اجرائها ثم خلا في نيس بامبراطور المانيا الذي انتهت اليهِ الامبراطورية سنة ١٧٦٩ فزيَّن لهُ ذلك بالرغم عن ارادة امهِ ماريا تريزا ثم اعاد عليهِ الكرة سنة ١٧٧٠ حتى ارتضي وعاد فردريك فقدَّم لروسيا لائحة التقسيم ثانيةً فاجازتها على ان يكون لها ٨٧٥٠٠ ميل وللنمسا ٦٢٥٠٠ ميل ولروسيا ٩٤٦٤ ميلاً فقط

ثم اتخذ الحلفاء صندوقًا عامًّا ادروا عليهِ من اموال خزائنهم الثلاث وانفقوا منهُ عن سعةٍ في استرضاء بعض نبلاء بولونيا وبعد هذا سيروا بعوثهم فملكوا البلاد ونال فردريك جزاء عملهِ

ومذ ضمَّ القطر البولوني الى مملكتهِ شرع في اصلاحهِ بهمةٍ حملت واصفيهِ على القول ان عملهُ في السلم كان عظيمًا يعادل عمله في الحرب . وهكذا ظلَّ يزيد في عزة ملكهِ حتى توفي في ١٧ آب سنة ١٧٨٦ في الخامسة والسبعين من عمرهِ والسادسة والاربعين من ملكهِ

ولقد انصفهُ من لقبهُ بالكبير الَّا ان آراءهُ الدينية والادبيَّة كانت منحطة كثيرًا تسقط من قدر اعمالهِ العظمى في الحرب وكانت لهُ مشاركة في التأليف اذ الَّف تاريخًا لعصرهِ سمَّاهُ Histoire de mon temps اسهب فيهِ بذكر شؤُون اوروبا في ذلك الحين واعتمدهُ المؤرخون في نقلهم

واذ رأى بلادهُ من غير شريعة ترتاح اليها الناشئة الجديدة وضع لها سنة ١٧٤٦ شرعة الاصلاح المعروفة بقانون فردريك Code Frederick

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

٢٦ الفدية

وكانوا عقيب الحرب يعمدون الى مفاداة الاسرى وكثيرًا ما يفتدي الاسير نفسهُ بشيء معيَّن قال القطامي

فني نادي اسيركِ ان قومي وقومكِ لا ارى لهمُ اجتماعا

وقد صرَّح ابو اذينة اللخمي ابن عم الاسود بن النعمان اللخمي بان الفدية تكون اما من الخيل والابل واما من الفضة والذهب حيث قال

قد عرّضوا بفداء واصفين لنا خيلاً وإبلاً تروق العجم والعربا
أيحلبون دماً منا ونحلبهم رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا
علامَ نقبل منهم فدية وهمُ لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبا

٣٧ المراعي

استجاد النابغة الذبياني السعدان مرعى للابل في قوله

الواهب المئة المعكاء زيّنها سعدان توضح في اوبارها اللبَدِ (١)

واستجاد اليعضيد والجرجار كلاً ترعاهُ الخيل في قوله

يتحلّب اليعضيد من اشداقها صفرًا مناخرها من الجرجارِ (٢)

وقد ذكر ابو وجزة المكنان والقطب في اثناء وصفهِ حمارًا فعدَّهما من افضل الاعشاب قال

تحسَّر الماء عنهُ واستجنَّ بهِ إلفان جُنَّا من المكنانِ والقُطَبِ (٣)
جماديين حُسُوماً لا يعاينهُ رعيٌ من الناس في اهل ولا غَرَبِ (٤)

والحِلَّة . قال ابو حنيفة هي شجرة شاكة تنبت في غلظ الارض اصغر من العوسجة وورقها صغار ولا ثمر لها وهي مرعى صدق قال

تأكلُ من خِصب سيال وسَلَمْ وحِلَّةٍ لمَّا توطَّأْها قدَمْ

والخُلَّة والحَمْض . قال ابو عمرو الخلة ما لم يكن فيهِ ملح ولا حموضة والحمض ما كان فيهِ حمض وملوحة قال الكميت

صادفنَ ودابة المغبوطَ نازلُهُ لا مرتع بعدت من حمضهِ الخُلَلُ

والعرب تقول الخلَّة خبز الابل والحمض لحمها او فاكهتها او خبيصها وفي المثل انك مختل فتحمَّض اي انتقل من حال الى حالٍ قال الطرماح

لا يني يُحمِضُ العدوَّ وذو الخلـ ـة يُشفَى صداهُ بالإحماضِ

وكانوا يعدُّون الِملح والغسويل اردأ المراعي قال الربيع الكامل (الربيع بن زياد العبسي)

ترعى الروائم احرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحًا وغسويلا

(١) المعكاء من الابل السمان الغلاظ · السعدان نبت ذو شوك يسمى شوكه حسكًا ويشبه به حلمة الثدي وهو مغبر اللون حلو · واللبد ما تلبد من الوبر الواحدة لبدة

(٢) اليعضيد بقلة من الاحرار مرة لها زهرة صفراء · والجرجار عشبة طيبة الريح لها زهرة صفراء

(٣) تحسر اي انكشف · واستجنَّ استتر · وجنا مبني للمجهول سترا · المكنان من الشعب ورقتهُ صفراء وهو لين كلهُ والقطب جمع قطبة ضرب من الشوك يتشعب منها ثلاث شوكات كانها حسك

(٤) الجماديان الشهران المعروفان · وحسوماً دؤوبًا

﴿٣٨﴾ السرج

وكانوا ينيرون منازلهم بالسُرُج قال النابغة الجعدي

اضاءت لنا النار وجهاً اغرَّ ملتبساً بالفؤَ د التباسا
يضيءُ كضوء سراج السليـ ط لم يجعل الله فيهِ نحاسا (٥)

﴿٣٩﴾ العِيَب

وكانت نساؤُهم يحفظن ملابسهنَّ في عِيَب . قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فزينك في شريطك ام عمرو وسابغة وذو النونين زيني (٦)

والشريط العيبة . وقال علقمة الفحل

كميت كلون الارجوان نشرْتهُ لبيع الرداء في الصُّوان المكعَّبِ (٧)

﴿٣٠﴾ القمار بالقداح

وكان القمار شائعاً بين كبراء العرب قال عفيف بن معدي كرب الكندي

وودعتُ القداح وقد اراني لها في الدهر مشغوفاً رهينا

وكانوا يعدونهُ من دلائل الشرف فاذا ذكروهُ افتخروا بهِ قال زهير بن ابي سلمى المزني مادحاً هرم بن سنان بن ابي حارثة المري وقد استطرق الى مدح اهل بيتهِ

ان قامروا قمروا او فاخروا فخروا او ناضلوا نضلوا او سابقوا سبقوا

وقال ايضاً

والاَّ فانَّا بالشربَّة فاللوى نعقر امَّات الرباع ونيسرُ (٨)

وقال النابغة الذبياني

هلاَّ سألتِ بني ذبيان ما حسبي اذا الدخان تغشى الاشمط البَرَما (٩)
اني اتمم ايساري وامنحهم مثنى الايادي واكسو الجفنة الأُدُما (١٠)

واما القداح فلم أرَها مجموعة في شعر قديم . وقد جمعها الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ

فذ وتوأم رقيب نافسُ والحلس والرابع قيل الخامسُ
كذلك المسبل والمعلَّى مما على النصيب قد تولَّى
ثم السفيح والمنيح الوغدُ ليس لهُ الى النصيب رشدُ

---

(٥) السليط الزيت والنحاس الدخان (٦) السابغة الدرع (٧) الصوان الوعاء الذي يصان فيهِ الرداء (٨) الرباع جمع رباعي بالتخفيف وهو من الحيوان الذي القى رباعيتهُ (٩) البرَم البخيل (١٠) الادم جمع ادام

ووجه القمار هو انهم كانوا يشترون جزورًا فينحرونهُ ويقسمونهُ ثمانية وعشرين قسماً ويتساهمون عليهِ بعشرة قداح يسمونها الازلام وهي المذكورة في الابيات ويفرضون لسبعة منها انصبة مقدَّرة فيجعلون للفذ نصيباً واحداً وللتوأم نصيبين وللرقيب ثلاثة وهكذا الى المعلَّى فان لهُ سبعة انصبة واما الثلاثة الباقية فلا نصيب لها وكانوا يكتبون على كل قدح اسمهُ ويجمعون هذه القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها في يد رجل عدل يسمونهُ المجيل او المضيض فيجيلها في تلك الخريطة ويخرج منها قدحاً للرجل منهم فمن خرج لهُ قدح من ذوات الانصبة اخذ نصيبهُ ومن خرج لهُ قدح لا نصيب لهُ غرّم ثمن الجزور. ولنعد الى شعر النابغة فهو يقول انهُ اذا كانت اصحاب القداح اقلّ سهاماً من سبعة كان يتمم السبعة فيأخذ ثلاثة انصباء اي مكان ثلاثة وانهُ يعطي اصحابهُ نصيبهُ المرة بعد المرَّة. وتسمى القداح ايضاً سهاماً واحدها سهم. ومن هذا الوجه استعار عروة بن الورد السهم للمنية حيث قال

فان فاز سهم للمنية لم اكن جزوعاً وهل في ذاك من متأَخرِ

وقد ذكر المنيح قال

مطلاً على اعدائهِ يزجرونهُ بساحتهم زجر المنيح المشهَّر

وكانوا يقمرون بالابل. قال سبرة بن عمرو الفقعسي

نحابي بها اكفاءنا ونهينها ونشرب في اثمانها ونقامرُ

وبالخيل. قال علقمة الفحل

وقد يسرت اذا ما الجوع كلَّفهُ معقب من قداح النبع مقرومُ
لو ييسرون بافراسٍ يسرت بها وكل ما يسر الاقوام مغرومُ

٣١ العطاء

كان الشهير في عطايا الملوك منح مئة من الابل. وربما اتبعوها بالخيول المطهمة وبالجواري الحسان واردفوها بنفيس الملابس والورق والعقيان. قال النابغة الذبياني في مدح النعمان ابن المنذر

الواهب المئة المعكاء زيَّنها سعدان توضح في اوبارها اللبدِ
والراكضات ذيول الريط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجردِ (١)

(١) "فانقها نعم عيشها. والهواجر جمع هاجرة وهي الحر الشديد. والجرد الموضع الذي لا ينبت فيهِ شيء. والمعنى يهب الجواري اللواتي يرفلن باذيالهنَّ" عن شرح ديوان النابغة للبطليوسي باختصار

والخيل تمزع غرباً في اعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البردِ (٢)

واما المكثر في وصف الاعطية فهو الاعشى ميمون بن جندل صناجة العرب لكثرة قصده الملوك فمن ذلك قولهُ

الواهب المئة الهجان وعبدها قطناً تشبهها النخيل المُكرَعا (٣)

وقولهُ هو الواهب المئة المصطفا ةِ اما مخاضاً واما عشارا (٤)

وقولهُ هو الواهب المئة المصطفا ةِ كالنخل زينها بالرَّجَنْ (٥)

وقولهُ من قصيدة متناهية في الجودة مدح بها قيس بن معدي كرب الكندي مطلعها

رحلت سمية عدوة اجمالها غضبى عليك فما تقول بدا لها

هذا النهار بدا لها من همها ما بالها بالليل زال زوالها

الى ان يقول

وسبيئة مما يعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها يقال من ذا قالها

ولقد نزلتُ بخير من وطئ الحصى قيس فاثبت نعلها وقبالها

الواهب المئة الهجان وعبدها عوذاً تزجي خلفها اطفالها (٦)

والقارح الاحوى وكل طِمِرَّة ما ان تنال يد الطويل قذالها (٧)

وما احسن قولهُ فيهِ ايضاً

ان قيساً قيس الفعال ابا الاش عث امست اعداؤُهُ لشَعُوب (٨)

ذاكم الماجد الجواد ابو الاش عث اهل الندى واهل السيوب (٩)

كل عام يمدُّني بجموم عند ترك الطعان او بنجيبِ (١٠)

تلك خيلي منهُ وتلك ركابي هنَّ صغرٌ اولادها كالزبيبِ (١)

(٢) المزع شدة السير . والغرب الحدة واول الجري . والشؤبوب الدفعة من المطر

(٣) القطن والقطين اتباع الملك وهو حال وتشبهها بالخطاب . والمكرع من النخيل ما غرس حول الماء

(٤) المخاض الحوامل من النوق والعشار التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر

(٥) رجن الناقة اذا حبسها للعلف ولم يسرحها

(٦) الهجان من الابل البيض الكرام . وعوذاً جمع عائذ يريد الحديثات النتاج . وتزجي تسوق

(٧) القارح من ذي الحافر الذي شقَّ نابهُ وطلع وهو بمنزلة البازل من الابل . والاحوى اي خالط خضرتهُ سواد او صفرة . والطمرة الفرس ذات القوائم الطوال والقذال من الفرس مقعد العذار خلف الناصية

(٨) شعوب علم للمنية (٩) السيوب جمع سيب وهو العطاء (١٠) الجموم الفرس الكثير الجري (١) الركاب الابل لا واحد لهُ من لفظهِ . وصغر جمع اصغر بمعنى اسود

وقال عارف الطائي

والله لو كان ابن جفنة جاركم ما ان كساكم حطةً وهوانا
ولكان عادتهُ على جيرانهِ ذهبًا وريطًا رادعًا وجفانا [٢]

اراد بابن جفنة عمرو بن الحارث الغساني ملك غسان

ولم يكن عطاء المئة من الابل خاصًا بالملوك دون الامراء فقد كانت الامراء تجود بمئة ناقة منحة للمستمنح قال بشر بن حازم في عمرو بن ام اناس

والمانح المئة الهجان بأسرها تزجي مطافلها كجنة يثربِ [٣]

وقال اوس بن حجر في مديح فضالة

الواهب المئة المعكاء يشفعها يوم النضار باخرى غير مجهودِ

وقد تكون العطية دون ذلك واقلّ ما يجودون بهِ بعير اوشاة قال مالك بن جعدة الثعلبي

فانك يوم تأتيني حريبًا تحلُّ عليَّ وقتئذٍ نذور [٤]
لأمك ويلة وعليك اخرى فلا شاة تنيل ولا بعيرُ

وقال ابو دهبل الجمحي

يا ناق سيري واشرقي بدمٍ اذا جئتِ المغيره
يا ناق ثم عنقتِ من دلجي ومن نص الظهيره
سيثيبني اخرى سوا كِ وتلك لي منهُ يسيره

﴿ ٣٣ ﴾ صحاف الفضة وقصاع الخلنج

ورد في ترجمة النابغة الذبياني انهُ كان يتناول الطعام في صحافٍ من الفضة. ولعلَّ ذلك كان مما اهدتهُ الملوك فقد كانت الملوك تجود بذلك قال الاعشى ميمون بن جندل في الاسود بن المنذر

يهب الجلَّة الجراجر كالبس تان تحنو لدردق اطفالِ
والمكاكيك والصحاف من والفض ة والضامرات تحت الرحالِ [٥]
وجيادًا كأنها قضب الشو حط يحملن شكَّة الابطالِ [٦]
ودروعًا من نسج داود في الحر ب وسوقًا يحملن فوق الجمالِ [٧]

(٢) الرادع الذي فيهِ اثر الطيب

(٣) تزجي تسوق · ومطافل وهي ذات الطفل من الانس والوحش (٤) الحريب المسلوب المال

(٥) المكاكيك آنية يشرب فيها الخمر · والصحاف القصاع والضامرات النجب من الابل

(٦) الشوحط ضرب من شجر الجبال يتخذ منهُ القسي · وقد شبه الجياد بقضبانها ووجه الشبه الضمر · والشكة السلاح الكامل (٧) الوسوق جمع وسق وهو الحمل

ملوك البيرة

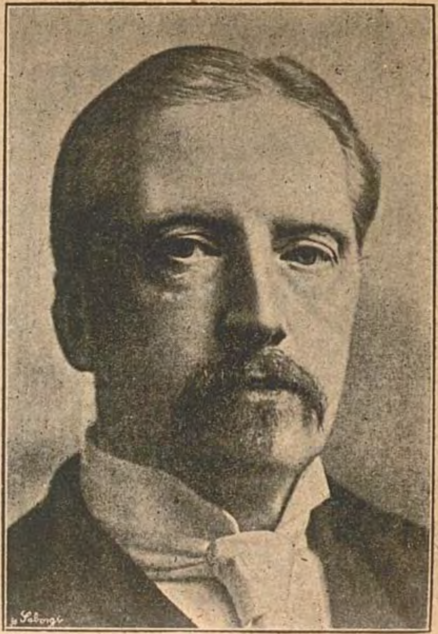
لورد اڤيا

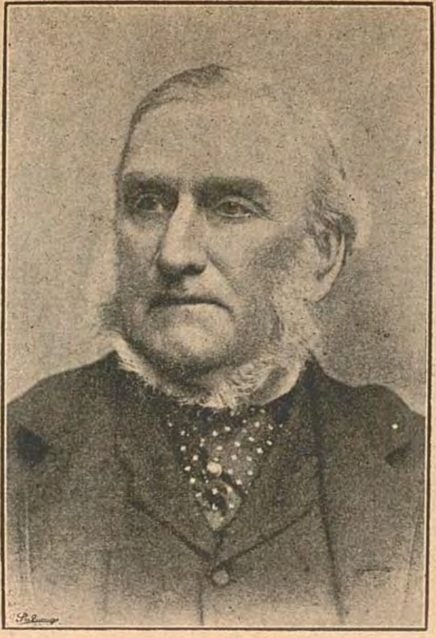
لورد هِنْدلِب

لورد برتن

، وربما اتخذوا الكؤوس من فضة قال لبيد

فدعدعا سرَّة الركاء كما دعدع ساقي الاعاجم الغربا[٨]

وهذا شاهد استعمالها عند الاعاجم واما استعمالها عند العرب فدليلهُ قول النابغة

وتسقى اذا ما شئت غير مصرَّد بزوراء في حافاتها المسك كانع[٩]

وقد اتخذوا القصاع من شجر الخلنج قال عبد الله بن قيس الرقيات

ان يعش مصعب فانَّا بخير قد اتانا من عيشنا ما ترجي
يهب الالف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج[١٠]

امين ظاهر خير الله

رجال المال والاعمال

لورد اڤيا

جاء في الانباء البرقية منذ ايام ان لورد اڤيا الارلندي تبرَّع بخمسين الف جنيه اعطاها ملك الانكليز تذكارًا لزيارتهِ مدينة دبْلن لكي يوزعها على المستشفيات في ارلندا سواءٌ كانت للبروتستانت او للكاثوليك وعلى مستشفى السل في نيوكسل . وقد ذكرنا منذ بضع سنوات ان هذا المحسن تبرَّع بمئتين وخمسين الف جنيه دفعةً واحدة لتوسيع نطاق علمٍ اصبح من انفع العلوم لنوع الانسان والحيوان وهو علم البكتيريولوجيا اي العلم الذي يبحث عن الميكروبات والامراض الناشئة عنها وكيفيَّة معالجتها . وقلنا هناك انهُ رجل كريم وهب هبات اخرى قبل الآن لهذا الغرض ثم رأى البلاد الانكليزية محتاجة الى دار كبيرة مثل دار باستور يبحث فيها العلماء عن طبائع الميكروبات فوهبها هذا المال الطائل (انظر باب الاخبار العلميَّة في مقتطف فبراير سنة ١٨٩٩)

وها نحن موردون الآن طرفًا من ترجمتهِ ووصف العمل الذي جمع منهُ ثروتهُ

من عادة الانكليز انهم اذا أُعطوا لقب الاعيان اضطروا الى ترك اسم عائلتهم والتسمي باسم آخر اذا سبقهم احد من عائلتهم الى رتبة الاعيان وابقى اسم العائلة لنفسهِ كما ترى في

(٨) دعدع ملأَ . والركاء اسم موضع . والغرب جام فضة

(٩) التصريد شرب دون الري . والزوراء مشربة من فضة مستطيلة شبه التلتلة والقدح كذا جاء في لسان العرب . وقال شارح ديوان النابغة زوراء دار بالحيرة للنعمان هدمها جعفر وهو وهم . وكانع لاهق

(١٠) البخت جمال طوال الاعناق . والخلنج شجر . فارسي معرب تتخذ من خشبة الاواني

تلقيب السر افلن بارنج بلقب لورد كرومر حينما نال لقب لورد لان واحداً من عائلته سبقهُ الى رتبة اللوردية ولقَّب نفسهُ لورد بارنج . اما اذا كان هو اول من نال رتبة الاعيان في اسرتهِ فالغالب ان اسمها يبقى لهُ كما ترى في لورد كتشنر ولورد ملنر . ولورد إقيا من عائلة غوينس وهي عائلة ارلندية خطت اول خطوة في سبيل الثروة على عهد جدها ارثر غوينس وكان خمَّاراً يصنع البيرة السمراء فانهُ ابتاع خمارة كبيرة في مدينة دبلن وجرى في عمل البيرة فيها على احدث الاساليب المعروفة حينئذٍ . والبيرة شراب يستحلهُ الاوربيون حتى الذين يحرّمون شرب الخمر منهم ويشربهُ رجالهم ونساؤُهم واولادهم على حدٍ سواءٍ ولذلك لا يعدُّ عملهُ وبيعهُ من المحرمات بل من اساليب الصناعة والتجارة المحللة التي يقبل عليها الناس من كل الطبقات

واحبَّ ارثر غوينس مدينة دبلن واهتم بما يرقيها لانهُ افلح فيها فاكرمهُ اهلها وعدُّوهُ من الوجهاء بينهم . ولما شبَّ اولادهُ اشركهم معهُ في عملهِ

والولد الثالث من اولادهِ واسمهُ بنيامين ولد سنة ١٧٩٨ ولما شبَّ ابدى من الهمة في ادارة الاعمال ما جعل اباهُ يعتمد عليهِ ويسلم ادارة معملهِ اليهِ فنظمهُ ووسعهُ حتى ابلغهُ حداً يفوق كل ما قدَّرهُ لهُ ابوهُ . وهو اول من اهتمَّ باصدار البيرة الارلندية الى مدن انكلترا وسكتلندا واضطرَّ ان يغير انواعها لكي توافق اذواق الناس الذين ارسلها اليهم فعمَّت مصنوعاتهُ البلاد الانكليزية كلها وانتشرت في اوربا وفي اميركا ايضاً لان شاربي البيرة وجدوا فيها شراباً سائغاً لم يذوقوا اطيب منهُ قبلاً فكثر الطلب عليها حتى فاق ما كان ينتظرهُ لكنهُ كان الرجل الذي اذا عرضت لهُ المصاعب قابلها بالحزم واذادعت اعمالهُ التوسُّع لم يرضَ لها بالضيق فاخذ من ساعتهِ يوسع معملهُ حتى ابلغهُ حداً يفوق التصديق ووضع فيهِ مراجل كبيرة جداً وآنية لم يرَ مثلها صنَّاع البيرة في بلد من البلدان لكبر حجمها حتى صار معملهُ اكبر معمل من معامل البيرة في المسكونة ولا يستطيع المرءُ ان يسير فيهِ من طرف الى طرف الاَّ بسكة حديديَّة تجرها آلة بخارية . وبقي من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٦٠ يدير هذا المعمل بهمة لا تعرف الملل يوماً بعد يوم من الصباح الى المساء . يراقب كل فرع من فروعهِ ويرشد العمَّال في اعمالهم ويختار الاكفاء منهم ويعتمد عليهم في ادارة الفروع المختلفة كل ذلك ورائدهُ اللطف والدعة مع العمال حتى كانوا كلهم يعدُّون انفسهم من اصدقائهِ لا من صناعهِ

فجمع ثروة طائلة وكان كثير المبرَّات ينفق على مدينة دبلن وفقرائها بسخاء حاتمي فعدَّهُ اهاليها اعظم رجل بينهم يلقون بهِ الملمات ويقابلون نوائب الدهر ومنحوهُ كل القاب الشرف التي في طاقتهم منحها

ومن اعماله الخيرية الكبيرة انهُ جدَّد بناء كنيستهم الكبرى سنت باترك وانفق على تجديدها ١٦٠٠٠٠ (مئة وستين الف جنيه) واستخدم لهُ امهر مهندسي العصر وامهر بنائيهِ ولما تمَّ تجديدها انتُخب عضواً في البارلمنت الانكليزي عن مدينة دبلن وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٦٨ وبلغت تركتهُ الخصوصية حينما توفي مليوناً ومئة الف جنيه وبقي معملهُ يزيد اتساعاً واتقاناً بعد وفاتهِ وكان لهُ ولدان شاركاهُ في ادارتهِ وهما ارثرغوينس وادورد غوينس وجريا على خطتهِ بعد وفاتهِ ومنح اولهما لقب لورد اردبلون والثاني لقب لورد إِڤيا . اما الاول فباع نصيبهُ لاخيهِ بمليون جنيه وتنحى عن العمل وبقي اخوهُ فيهِ وكانت ولادتهُ (وهو لورد اڤيا) سنة ١٨٤٧ ودرس في مدرسة دبلن الكلية ونال منها لقب دكتور في الشريعة المدنية واستقلَّ بعمل البيرة سنة ١٨٨٠ لما ابتاع نصيب اخيهِ وادارهُ بهمة ونشاط ثم باعهُ الى شركة مساهمة سنة ١٨٨٦ بستة ملايين من الجنيهات واكثر اسهمها لهُ وكان ثمن السهم الاساسي عشرة جنيهات فبلغ منذ سنتين ٥٥ جنيهاً

وحذا حذو ابيهِ واخيهِ في الانفاق على الاعمال الخيرية وانفق اكثر من مليون جنيه على بناء البيوت الصحية لفقراء مدينة لندن ومدينة دبلن فافاد الفقراء فوائد لا تقدَّر ولا يزال يزيد كرماً وهو يزيد غنى ولا عجب اذا ارتقت بلاد يكون فيها كثيرون من امثالهِ

لورد هِنْدِلِب

البيرة شراب منعش يُصنَع من الشعير المختمر ويصح ان يطلق عليها اسم الجعة لانها كانت معروفة عند العرب بل عند المصريين القدماء لكن الاوربيين خصوها بالشراب الذي يعالج بحشيشة الدينار ولا دليل على ان هذه الحشيشة كانت تستعمل في استخراج الجعة فابقينا كلمة بيرة على حالها لئلاَّ تفوت هذه الدلالة وتلتبس البيرة بشراب آخر يستخرج من الشعير ولا يعالج بحشيشة الدينار

ذكرنا في الفصل السابق سيرة بيت غوينس الذين اثروا من عمل البيرة وصاروا من اشراف الانكليز . ولكن مقطوعية البيرة كبيرة جدًّا فقد كان لها في البلاد الانكليزية ٧٢٨٨ معملاً سنة ١٨٩٨ وبلغ دخلها السنوي حينئذٍ ١٢١٤٠٥٢٢ اي اكثر من اثني عشر مليون جنيه ودخل معمل بيت غوينس وحدهُ ٦٥٢٦٢٨ جنيهاً اي نحو خمسة في المئة من دخل المعامل كلها فلا بدَّ من وجود معامل اخرى كبيرة لعمل البيرة

ومن اصحاب هذه المعامل بيت السوب ومعملهم قديم جدًّا اخذوهُ من بيت ولسن وهؤلاء من بيت برتن ويمتدُّ تاريخهُ الى قبل ايام الملكة اليصابات وآل الى بيت السوب سنة ١٨١٢

وكان اسم مديرهِ حينئذٍ صموئيل السوب وكان كبير الهمَّة فوسَّع المعمل ووفَّر ارباحهُ وانتقل منهُ الى ابنهِ هنري السوب الذي صار لورد هندلب الاول وهو الذي وسع المعمل وجعلهُ من اكبر المعامل واوفرها ربحًا وجاء ابنهُ بعدهُ فورث منهُ قوَّة العقل وقوَّة الارادة . ولما آل المعمل الى صموئيل السوب حوَّلهُ الى شركة مساهمة وكان دخلهُ السنوي قد بلغ ٢٣٠ الف جنيه وكانت مبانيهِ تشغل اكثر من ٤٠ فدانًا والى جانبهِ ارض مساحتها ١٤٠ فدانًا لكي يملأها اذا دعت الضرورة . ولم يمض الاَّ زمن يسير بعد ان تحوَّل الى شركة مساهمة حتى صار دخلهُ السنوي ٤٨٦ الف جنيه

ولم يعش لورد هندلب طويلاً بل توفي سنة ١٨٨٧ وكان كريمًا ولاسيما على العمَّال الذين يعملون في معملهِ ولورد هندلب الحالي شاب ولد سنة ١٨٧٧ وانتظم في الجيش وحارب في الترنسفال

لورد برتن

ومن اكبر عمَّال البيرة في البلاد الانكليزية لورد برتن وكان جدُّهُ صانعًا فقيرًا اسمهُ وليم باس ينقل البيرة من مكان الى آخر لبيعها فخطر لهُ ان يصنعها هو ويبيعها وكان ذلك سنة ١٧٧٧ فصنع معملاً صغيرًا لعملها ورثهُ منهُ ابنهُ واسمهُ ميخائيل باس ووسعهُ واستعان برجلين من الاكفاء فاشركهم معهُ فاشتركا في ربحهِ ومات اولهما وخلَّف اكثر من مليون جنيه ومات الثاني تاركًا نحو ثلاثة ملايين جنيه ولا يزال اولادهما مشتركين في هذا المعمل

وكان ميخائيل باس يصدر اكثر البيرة التي يصنعها الى بلاد روسيا وبلغهُ ذات يوم ان حكومة الروس فرضت مكسًا ثقيلاً على البيرة الاجنبيَّة فلم يعد في امكانهِ ان يصدر بيرتهُ اليها ولم يبقَ امامهُ الاَّ الاسواق الانكليزية فاضطرَّ ان يصلح بيرتهُ حتى توافق ذوق الانكليز وكان ذلك سبب نجاحهِ وثروتهِ ولو بقي يصدر البيرة الى بلاد الروس كما كان يفعل اولاً لبقيت بيرتهُ من النوع الرخيص الثمن القليل الرواج القليل الربح لكنهُ استفاد من هذا النائبة كما يستفيد كل ارباب الهمم من نوائب الدهر

واختلف تجار البيرة الذين يأخذونها الى بلاد الهند مع صاحب المعمل الذي يصنعها لهم فعرضوا بيرتهُ على المستر باس وسألوهُ عما اذا امكنهُ ان يصنع لهم بيرة مثلها فاخذها وحللها حتى عرف اساليب عملها وعمل بيرة مرة مثلها او اجود منها وارسلها الى بلاد الهند فراجت فيها رواجًا عظيمًا ويبلغ ثمن البيرة التي يصنعها معمل باس الآن خمسة ملايين جنيه كل سنة وجانب كبير من هذا الثمن ربح صافٍ لاصحاب هذا المعمل

ورقي ميخائيل باس الى رتبة الاشراف سنة ١٨٨٦ باسم لورد برتن

البابوية وانتخاب البابوات

رأيت في الجزء الماضي من المقتطف خبر وفاة البابا لاون الثالث عشر وطرفاً من ترجمته وقد رأيت ان اجمع مختصر تاريخ البابوية ووصف مركزها الحالي في المجتمع الدولي

كان النصارى في اول نشأتهم كالاشتراكيين في هذا العصر لا رؤساء لهم يجتمعون لعبادة الله وإمامهم اشدهم ورعاً واقدرهم على الوعظ والارشاد تركوا الرئاسة المدنية للامم الذين يسودونهم قائلين لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لانهُ ليس سلطان الاَّ من الله. ثم لما كثر عددهم وقوي شأنهم خصوا الرئاسة الدينية باربعة من اساقفتهم سموهم بطاركة وهم بطاركة رومية والقسطنطينية وانطاكية والاسكندرية عواصم ولايات الامبراطورية الرومانية وجعلوا لاسقف اورشليم رتبة بطريرك شرف

وكان البطاركة اصلاً متساوين في الرتبة والمقام الاَّ ان بطاركة رومية حاولوا من اول الامر السيادة على غيرهم بدعوى انهم خلفاء بطرس الرسول . ولم يأتِ القرن الخامس للميلاد حتى كانوا قد فازوا بمطالبهم واعترف الامبراطور الروماني بالاسقف انوسنتس الاول رئيساً عامًا للكنيسة المسيحية . والمرجح ان اول من لُقّب بلقب بابا بمعناه الحالي هو غريغوريوس الكبير الذي تولَّى رئاسة الكنيسة الرومانية من سنة ٥٩٠ الى ٦٠٤ للميلاد

وساعد البابوات في نيل الرئاسة العامَّة ما كان لرومية مقر كرسيهم من السلطان في تلك الايام حين كانت عاصمة العالم والمرجع الاعلى للممالك في احكامها وسياستها فزعامتها للعالم في المسائل السياسية ساعدت بطاركتها على الوصول الى الزعامة الدينية ايضاً . ولما نقل قسطنطين الكبير كرسي الملك الى عاصمتهِ الجديدة خلا لاسقف رومية الجو فصار الآمر الناهي الوحيد فيها وزد على ذلك ان الامبراطورين لجأُوا اليهِ مراراً في صدّ غزوات قبائل الشمال التي كانت تتهدد المملكة الرومانية فكان يفعل بسلطتهِ الدينية وهو اعزل من السلاح المادي ما كانت تعجز عنهُ جنود الامبراطورين فلذلك علت منزلتهُ وعمَّت هيبتهُ . ولما سقطت الامبراطورية الغربية زادت سلطة البابا وصار اعلى اصحاب المقامات في اوربا . وكان البابوات في تلك الايام يفضون المشاكل بين مدن ايطاليا وقبائل البربر الشمالية فاصبحوا الحكَم العام تتقاضى اليهم الممالك وتجري على احكامهم

وارسلت رومية دعاتها الى فرنسا وجرمانيا وجزائر بريطانيا وغيرها من ممالك اوربا تدعو الناس الى النصرانية فاهتدوا بهديها وانشأُوا الكنائس واشربت قلوبهم حب رومية التي دعتهم

من الظلمات الى النور فكانوا يرسلون اساقفتهم اليها لينالوا البركة من يد البابا اعترافاً بخضوعهم لهُ . وبقي بابا رومية رئيساً عامًّا للنصرانية الى ان وقع الخلاف الشهير بين النصارى في مسألة وضع الايقونات في الكنائس فاتخذت كنيسة رومية والكنائس التابعة لها الوجهة المخالفة لقرار المجمع القسطنطيني الذي عُقد سنة ٧٥٤ والذي اتبعتهُ الكنائس الشرقية . وزاد الخلاف بين رومية والقسطنطينية حتى آل الامر الى انفصال الكنيستين الشرقية والغربية في القرن الحادي عشر فخسرت رومية بذلك سلطانها في الشرق لكن حالفت ملوك اوربا وامراءها فكانت تستعمل سلطتها الدينية في توطيد سلطتهم وكانوا يستخدمون جيوشهم في الذود عنها وتمليكها المدن والمقاطعات كما فعل بين وشارلمان وغيرهما وهكذا تأَسست سلطة البابا الزمنية التي بقيت الى ان استولى الايطاليون على رومية سنة ١٨٧٠

وساعد البابوية في توسيع نطاق سلطتها الزمنية ما كانت عليهِ اوربا في القرون الوسطى من الجهل فادَّعت الكنيسة ووافقها شارلمان ان الكهنة خارجون عن سلطة المحاكم السياسية مدنيًّا وجنائيًّا فلا يحاكمون الَّا امام محاكم الكنائس . ثم توسعت بالامر وحكمت بان لها الاختصاص بالنظر في كل المسائل المتعلقة بالازواج والارامل واليتامى لعلاقتها بالدين . ولم تقف عند هذا الحد بل ادعت الاختصاص بالنظر في المسائل الجنائية ايضاً بدعوى ان الجناية تعدٍ على شريعة الله فللكنيسة الحق في معاقبة الجانين . وبهذه الطريقة اصبح الكهنة قضاة للشعب ينطقون بالاحكام ويكلون تنفيذها الى الحاكم الزمني . ولما كان الاساقفة تابعين لرومية كان استئناف احكامهم يرفع الى البابا فاصبح الحكَم الاعلى لا مرد لحكمهِ واصبح الملوك والامراءُ كالشرطة ينفذون احكامهُ ويأتمرون باوامرهِ

وفي اواسط القرن العاشر قام اوتو الكبير ملك المانيا فاعاد الى الامبراطورية الرومانية مجدها الذي كانت عليهِ في زمن شارلمان وبقي ملوك المانيا يتوارثون هذه الامبراطورية التي دعيت بالامبراطورية الرومانية المقدسة حتى اخذها منهم نابليون الاول . ولما قويت السلطة الزمنية في القرن العاشر اجتمع في المملكة الرومانية المقدسة حاكمان يتنازعان السلطة البابا والملك وتضاربت الآراءُ في نسبة احدهما الى الآخر . قال البعض ان كلاًّ منهما مستمد سلطتهُ من الله تعالى فهما اذاً متساويان وكلاًّ منهما متمم للآخر احدهما يحكم الانفس والآخر يحكم الاجساد وعلى الملك ان ينفذ بسيفهِ قوانين الكنيسة ويدفع عنها غارات الهراطقة والاعداءِ . وقال حزب البابا ان لصاحب السلطة الروحيَّة التقدم على صاحب السلطة الزمنية . وذهب حزب الملك الى ضد ذلك وكل من الحزبين استشهد على صحة قولهِ بآياتٍ من الانجيل

فسرها على ما يوافق دعواهُ

غير ان السلطة الزمنية ما زالت تنمو وتتقوى وتستقل عن السلطة الدينية حتى لم يبقَ لهذه سوى بعض مقاطعات ومدن اهداها اليها شارلمان وغيرهُ الى الباباوات . ولما نهضت ايطاليا حديثاً نزعت املاك البابا منهُ شيئاً فشيئاً حتى لم يبقَ لهُ الاَّ مدينة رومية فعارضتها فرنسا في ذلك وارسلت فصيلة من الجيش لحمايتها حتى اضطرت الى استرجاع جنودها منها سنة ١٨٧٠ حينما نشبت الحرب بينها وبين بروسيا فاستغنم فكتور عمانويل تلك الفرصة وضم رومية الى ايطاليا وجعلها عاصمة المملكة . وكان حينئذٍ في كرسي البابوية بيوس التاسع فاقام الحجة على ايطاليا واستغاث بدول اوربا فلم يغثهُ احد . وبديهي انهُ لما كان للبابا املاك زمنية كان جامعاً في يدهِ سلطة روحية وسلطة سياسية في ما يختص بالحكم في مقاطعاتهِ وكانت بقية الدول تعد مملكة البابا مستقلة عما حولها وتحترمهُ كملك زمني فوق ما لهُ من الاحترام الديني بصفتهِ الرئيس الاعظم للكنيسة الكاثوليكية . فلما كان ما كان من استيلاء ايطاليا على رومية وتجريدها البابا من املاكهِ دخلت البابوية في دور جديد هو الدور الحالي واصبح خليفة مار بطرس في مقام فريد بين الملوك لا شبيه لهُ

ولا مراء ان وجود مملكة للبابا ولو صغيرة جعلهُ مستقلاً في اعمالهِ لا سلطة لغيرهِ عليهِ . غير ان تجريد دولة ايطاليا لهُ منها تركهُ وحيداً فريداً . ولو كان رئيساً لكنائس ايطاليا وحدها لما اهتم احد بامرهِ بل كانوا تركوهُ وشأنهُ مع الايطاليان لكنهُ رئيس الكنيسة الكاثوليكية في العالم اجمع وكلها تنظر اليهِ كنائب المسيح على الارض وراعيها في المسائل الدينية فيهمها اذاً ان لا يكون تابعاً لدولة من الدول بل يكون مستقلاً عنها كلها اذ لو فرضنا انهُ كان تابعاً لاحداها لتمكنت تلك الدولة بواسطتهِ من المداخلة في اعمال بقية الممالك الداخلية فتكسب بذلك قوة وسلطاناً لا يقدرَّان

وقد ادرك الايطاليون من البداءة ان العالم الكاثوليكي ينظر بعين القلق الى مصير البابوية بعد فتوحات فكتور عمانوئيل فعرض الكونت كاڤور سنة ١٨٦١ على فرنسا وعلى الفاتيكان ان يتنازل الفاتيكان عن املاكهِ فتضمن لهُ ايطاليا الاستقلال التام في اعمالهِ الدينية ويكون لهُ الامتياز الذي للملك وتدفع الدول الكاثوليكية نفقات الكنيسة فابى بيوس التاسع الموافقة على ذلك . ثم عرضوا عليهِ اسلوباً آخر سنة ١٨٦٨ وهو ان يترك مستقلاً في الفاتيكان وحي ليونين (وهو واقع بين نهر التيبر والفاتيكان ويبلغ عدد سكانهِ خمسة عشر الفاً) فابى ايضاً . ثم جددوا هذا الاقتراح سنة ١٨٧٠ وضمنوا للبابا جميع الامتيازات التي للملوك فاصرَّ على الاباء .

ولما استولى فكتور عمانوئيل على رومية رأى ان اول واجب عليهِ هو ازالة الشك الذي ربما خامر بقية الدول الكاثوليكية من جهة بقاء البابا مستقلاً فاصدر قانون الضمانة في ١٣ مايو سنة ١٨٧١ لانهُ خاف انهُ اذا لم يفعل ذلك هجر البابا رومية فتخسر برحيلهِ عنها الشيء الوحيد الباقي من عظمتها السابقة التي جعلتها في مقدمة الممالك المسيحية

اما الاساس الذي بني عليهِ قانون الضمانة فهو وجود كنيسة حرة في بلاد حرة . وقد تركوا للبابا المقام الملكي الذي كان فيهِ لكنهم جردوهُ من املاكهِ فاصبح ملكاً بلا مملكة. وملخص ما جاء في هذا القانون ان ليس للبابا املاك قط بل لهُ الانتفاع ببعض القصور كالفاتيكان وقصر لاتران مع ما يتبعهما من الحدائق وان هذه القصور وما احتوت عليهِ من المعارض والتحف تكون معفاة من الضرائب ولا يمكن بيعها او نزع ملكيتها للمنفعة العامة وشخص البابا مقدس كشخص الملك ولا يمكن محاكمتهُ امام المحاكم الجنائية وكل تعدٍّ عليهِ او مكيدة ضدهُ تجازى كما لو كانت موجهة الى الملك نفسهِ . ويؤدى للبابا حيثما سار في ايطاليا نفس الاحترام الذي يؤدى للملك ولهُ التقدُّم على الملك في الحفلات الرسمية وهي الطريقة التي جرى عليها بقية الملوك الكاثوليك . ولا يمكن لمأموري الحكومة الايطالية الدخول الى قصر البابا حال تأدية واجباتهم بغير اذن منهُ ولقداستهِ ارسال السفراء لدى الدول وقبول السفراء منهم ايضاً ولهُ ان يجري شؤُون سلطتهِ الدينية بتمام الاستقلال وان يتخابر مع الكاثوليك في كل العالم من غير مراقبة او معارضة من قبل الحكومة الايطالية . ولما كانت ادارة الكنيسة تقتضي نفقات طائلة قطعت لهُ ايطاليا مالاً سنوياً حسب آخر ميزانية عملها في مملكتهِ . لكن الفاتيكان رفض قبول هذا المال ولم يأْخذ شيئاً منهُ حتى الآن

قلنا ان مقام خليفة مار بطرس بين الدول مقام فريد لا شبيه لهُ . فالبابا ايطالي الجنس يولد ويعيش في ايطاليا لكنهُ غير تابع لها بل هو مستقلٌّ وشخصهُ مقدس كشخص الملك وخارج عن سلطة المحاكم الايطالية . وهو مجرد تمام التجريد عن الاملاك الزمنية التي هي اهم اختصاصات الملوك اذ وجود الملك يستدعي وجود المملكة . واساس علاقات الدول بعضها مع بعض هو عدم المداخلة اي ان كلاًّ منها حرة في اجراآتها الداخلية بخلاف علاقاتها مع كرسي البابوية فانها مبنية على ما للبابا من حق المداخلة في احوال بقية الممالك واجراء المراقبة والتأديب . فللبابا في كل منها نفوذ سياسي وديني وبموجبهِ تداخل البابا لاون الثالث عشر في الانتخابات الالمانية. غير ان بعض الدول احتاط لذلك فقرَّر عدم نشر شيء من منشورات البابا قبل تصديق الحكومة عليهِ

وخلاصة القول ان البابا ايطالي لكنهُ غير تابع لايطاليا وملك ولكنهُ اصبح بلا مملكة ولهُ حق المداخلة في امور بقية الممالك حالة كونها لا تسمح احداها للاخرى بذلك . وظاهر مما تقدم انهُ لا يزال كما كان في القرون الوسطى في مركز دولي يساعدهُ على حفظ السلام بين الممالك الاوربية وعلى دعوتها الى الاتحاد والتعاون في كل ما يؤول الى راحة البشر ولرفع شأن الانسانية

وقد احتجَّ البابا بيوس التاسع الذي سقطت رومية في ايامهِ على حكومة ايطاليا وامتنع عن قبول المال السنوي الذي قطعتهُ لهُ واعتصم بقصر الفاتيكان ولم يعد يخرج منهُ وسار البابا لاون الثالث عشر على خطتهِ في ذلك لاسيما وانهُ خلفهُ والجرح لا يزال دامياً والافكار مضطربة

هذا من حيث تاريخ البابوات ومقامهم الديني والسياسي . اما كيفية انتخابهم فهو انهُ حينما يتوفى احدهم ينوب الكامرلنج عن مجمع الكرادلة في ادارة اعمال الكنيسة ثم يجتمع المجمع المذكور في الفاتيكان وتقفل الابواب والنوافذ بناءً بالحجارة الاَّ باباً واحداً للخروج والدخول منهُ وبعد حضور القداس في اليوم الاول يقسم الكرادلة اليمين المعتادة في هذه الاحوال ثم يخرج الاجانب ويقفل الباب ويبقى الكرادلة مع خدمهم والطبيب والبنَّاء والنجار وخلافهم ويجري الانتخاب مرتين في اليوم قبل الظهر وبعدهُ فاذا لم ينل احد المرشحين اكثر من ثلثي الاصوات تحرق اوراق الانتخاب مع قليل من القش المبلول فيصعد لها دخان كثيف من مدخنة عالية ويعلم الناس في الخارج ان كرسي البابوية لم يزل خالياً . فاذا نال احدهم العدد اللازم من الاصوات أُحرقت الاوراق وحدها فلم يصعد لها دخان فيعلم الجمع حينئذٍ انهُ تم الانتخاب . ويتقدم اقدم الكرادلة الى المنتخب ويسأَلهُ عما اذا كان يقبل المنصب وعن اللقب الذي يختارهُ ثم يلبسونهُ الحلة البابوية ويؤمر البنَّاء فيفتح النوافذ التي يكون قد سدها ويقف الكردينال الاول في شرفة كنيسة مار بطرس ويقول للشعب باللاتينية ما ترجمتهُ

"أُبشركم بفرح عظيم فقد انتخبنا بابا الكردينال فلان المعظم وقد اتخذ لنفسهِ الاسم الفلاني" . ثم يظهر البابا الجديد للجمهور المجتمع في ساحة مار بطرس ويمنحهم البركة الرسولية "لمدينة رومية وللعالم اجمع"

وقد تم في هذا الشهر انتخاب قداسة البابا الحالي الكردينال جوزف سارتو الذي اختار اسم بيوس العاشر وتوّج في كنيسة مار بطرس يوم الاحد في ١٠ منهُ امام جمهور عظيم يربو على خمسين الفاً

ن . ب

الهيدروسكوب

نشط الايطاليون للاكتشاف والاختراع كأنهم يريدون ان يعيدوا عصر ايطاليا الاول وزمانها الذهبي حينما كانت مقصد العلماء ومصدر العلم والعرفان فقد كان لهم الشأن الاول في اكتشاف سبب الحمَّى الملارية وقام منهم الشاب مركوني وادهش العالم بتلغرافهِ وذاع الآن اسم شاب آخر اسمهُ بينو اخترع منظاراً ترى بهِ اعماق البحر سماهُ بالهيدروسكوب ومركباً يغوص في الماء وآلة تصل الى الكنوز والدفائن التي في قاع البحر وتستخرجها منهُ او تصل الى السفن التي غرقت وترفعها الى وجه الماء

وقد رأينا وصف ذلك في مجلة بيرصن من قلم صديقهِ الدكتور لبرتكريو فاقتطفنا منهُ السطور التالية

قال الكاتب سمعت حديثاً دار بين بينو وزوجتهِ قالت الزوجة "لقد زادت نفقاتنا جداً واذا بقينا على هذه الحال امسينا فقراء" فقال لها بينو "خفّفي عنكِ يا عزيزتي فان في البحر كنوزاً لا تقدَّر وقد صارت في قبضة يدي انتشل منها ما اشاء". ولا يستغرب منهُ هذا القول بعد ان اعجب بهِ ملك ايطاليا وامبراطور المانيا وحكومة اليونان وحربية الانكليز وكثيرون من رؤساء الشركات البحرية وعدوهُ من اكبر مخترعي العصر

كم في البحر من الكنوز التي غاصت بها السفن وكم فيهِ من السفن التي أُنفقت عليها بدرات الاموال وهي ملقاة الآن في قاعهِ . وكم سقط فيهِ من التحف والمصنوعات البديعة وكم في مشاهدة اغوارهِ وما فيها من المرتفعات والمنخفضات وانواع النبات والحيوان من فائدة علميَّة ولذة ادبية . وكل ذلك يرى بهيدروسكوب بينو ويستخرَج بآلتهِ الرافعة

ثم ان صيد السمك صناعة واسعة النطاق يعيش منها الوف والوف الالوف من الناس والصيادون يلقون شباكهم في البحر فتجيء بملئها سمكاً او تجيء بحماة وقليل من الاعشاب لانهم لا يرون السمك في الماء فيطرحونها على التوكل فلا تمتلئ مرةً حتى تصعد فارغة مئة مرة فاذا استعانوا بالهيدروسكوب ورأوا بهِ اعماق البحر لم يطرحوا شباكهم الاَّ حيث يجدون السمك فيقلُّ تعبهم وترخص الاسماك وهي اكثر انواع الطعام غذاء فيعمُّ النفع ويشمل الفقراء

وبينو شاب كما تقدَّم عمرهُ ثلاثون سنة صغير الجسم كبير العقل شديد العزم يتيم من ابيهِ وامهِ وهو طفل فكفلهُ اخوتهُ وبدا ميلهُ للاكتشاف والاختراع وهو فتى فحاولوا صرفهُ عن

ذلك فهرب منهم ولم يسمعوا اسمهُ بعد ذلك الاَّ حينما منحهُ ملك ايطاليا لقب الشقاليه جزاء استنباطهِ السفينة الغوَّاصة

ولما هرب من اخوتهِ ورأى نفسهُ وحيداً شريداً لا صديق لهُ ولا معين عكف على الدرس والبحث والتجارب وكان معهُ قليل من النقود مما تركهُ لهُ والدهُ فانفقهُ كلهُ واضطرَّ ان يحترف حرفة لمعيشتهِ فدخل فرناً كبيرًا في جنوى وجعل يعمل فيهِ كاحد صغار العمال ورآهُ مدير الفرن (او معمل الخبز) وهو يرسم رسوماً على الورق فناداهُ وقال لهُ ما هذه الرسوم التي اراك تشتغل بها دواماً . فقال هذه رسوم قارب يغوص في الماء مسافة الف قدم ويسير بالبخار وهو تحت سطح الماء كما يسير فوق سطحهِ . واخذ يشرح لهُ اجزاءهُ المختلفة فسرَّ المدير بهِ واعتقد انهُ قادر على عمل قارب يسير تحت الماء وعفاهُ من العمل في المخبز ومدَّهُ بالمال لعمل هذا القارب وكان عمرهُ حينئذٍ اربعاً وعشرين سنة

واراد مرةً ان يمتحن آلة للتنفس في الماء فصنع وعاءً كالتابوت وجلس فيهِ مع آلة التنفس المشار اليها وطلب من الذين معهُ ان ينزلوهُ في خليج جنوى بعد ان يسدوا باب الوعاء سدًّا محكماً ويبقوهُ في الماء الى ان يشير اليهم بآلة متصلة بالوعاء ولعلها جرس كهربائي . فانزلوهُ حسب طلبهِ ومرَّت دقيقة بعد اخرى وهو لا يشير اليهم فظنوا انهُ اختنق او أُغمي عليهِ واصعدوا الوعاء وفتحوهُ فنهض وجعل يعنفهم لانهم اصعدوهُ قبلما اشار اليهم وقال انهُ كان جالساً مستريحاً وهو يحل مسألة شغلت بالهُ

والغوَّاصة التي صنعها وفت بالمطلوب من اول تجربة وقد غاص بها اكثر من مئة وخمسين مرةً الى عمق خمس مئة قدم او اكثر وغاص مرارًا اخرى كثيرة الى اقل من ذلك ووصف ما شاهدهُ في اعماق البحر من انواع الحيوان والنبات وصفاً شعريًّا بديعاً فقال انهُ رأى اسماكاً كالازهار وازهارًا كالاسماك وهي تختلف بحسب طبقات الماء فالاسماك التي على ستين قدماً تختلف عن الاسماك التي على ستمئة قدم وتكثر الاسماك على عمق معلوم حتى تصير كاوراق الحراج في فصل الصيف

وقد اقنعتهُ المناظر التي شاهدها في قلب البحر انهُ يمكن ان يصنع منظار ينظر بهِ ما في اعماقهِ وكان قد ألَّف شركة لعمل الغوَّاصات وجُعل مديرًا لها وكثرت اشغالهُ فلم تسمح لهُ بالتفرُّغ لعمل هذا المنظار لكنهُ عملهُ بعد سنتين من حين ارتسمت صورتهُ في ذهنهِ وسمَّاهُ بالهيدروسكوب وهو انبوب طويل في طرفهِ آلات بصرية مختلفة ومصباح كهربائي ساطع النور فينار قاع البحر بهِ وتنعكس صورتهُ على الآلات البصرية التي في الهيدروسكوب فتلقيها على ستار في السفينة

فيراها الذين ينظرون اليهِ كأنهم ينظرون الى قاع البحر والنور ساطع عليهِ . ويستطيع ربان السفينة ان يرى بهِ اسفل سفينتهِ وجسرها الذي تبنى عليهِ وما يصيبهُ من العاهات

وقد رأى واستخرج من قاع البحر امام بلاد اليونان تحفًا كثيرةً وقعت فيهِ منذ الفي سنة. واتفقت معهُ حكومة اليونان اخيرًا على ان يستخرج لها كل ما يجدهُ من التحف في ما يجاورها

وامتُحن هيدروسكوب بينو اول مرة امتحانًا عموميًّا في شهر يناير الماضي وحضر الامتحان كثيرون من ضباط البحرية ورجال العلم فرأوا قاع البحر بواسطة الهيدروسكوب كأن لا ماء بينهم وبينهُ ورأوا فيهِ الصخور والحجارة والاصداف والاسماك والازهار وكل ما في قاع البحر وكتبوا تقريرًا عما رأوا ووقَّعوا عليهِ

اما الآلة الرافعة التي ترفع الاجسام الثقيلة من قاع البحر كالسفن والمدرَّعات فاكبر نفعًا من كل ما استنبطهُ هذا الرجل . وقال الكاتب ان نظارة البحرية الانكليزية عازمة على امتحانها فاذا وفت بالغرض فهناك النفع الكبير والربح الكثير لانهُ استُنبط حتى الآن اكثر من اربعة آلاف استنباط لرفع السفن الغرقى من قاع البحر فلم تفِ بالمراد . ويغرق الآن اكثر من ١٨٠ سفينة كل شهر محمول كلٍّ منها اكثر من خمس مئة طن يبلغ ثمنها عدا ما فيها من الشحن الوفًا والوف الوف من الجنيهات فاذا عُرف مقرها بالهيدروسكوب ورُفعت بالرافعة انهالت ميازيب الثروة على صاحب هذا الاختراع ورُدَّ جانب كبير ممَّا يضيع الآن ولا امل بردهِ . وكم من اختراع بسيط يخترعهُ رجل قليل العلم يفوق الاختراعات الكبيرة التي يستنبطها كبار العلماء

ولم نقف على وصف الرافعة التي استنبطها بينو ولا رأينا صورتها ولكن الكاتب يقول انها تخالف في مبدإها كل ما استنبط لهذه الغاية حتى الآن وهي من نوع الغوَّاصات ولكنها نوع خاص قائم بنفسهِ ومتانتها وقوتها تكفيان لرفع المدرَّعة الكبيرة من اعمق اعماق البحر . ولا يراد ان توصف قبل ان تجرَّب فاذا وفت بالغرض كما وفت غوَّاصتهُ وكما وفى هيدروسكوبهُ فيكون قد استنبط ثلاثًا من انفع الآلات قبل ان يناهز الثلاثين من العمر فما عسى ان يخترع بعد ذلك واين تقف سلسلة مكتشفاتهِ . وهل تحذو ايطاليا حذو اميركا وتحوَّل قوة الخيال في الايطاليين من التصوير والتمثيل والنظم الى استنباط الآلات وابتداع الاساليب التي تزيد راحة الناس ورفاهتهم وهل يعود الى ايطاليا عصرها الذهبي الذي كانت فيهِ راقية اعلى مراقي النجاح وسائرة في طليعة ممالك الارض

الثلج في افريقية

ذكرنا غير مرة ان المستر مور وصل الى جبال القمر في قلب افريقية وشاهد الثلج عليها واكتشف ثلاثة من انهار الجليد . وقد وقفنا الآن على مقالة لهُ في هذا الموضوع وصف فيها ما شاهدهُ وصفاً بديعاً وبنى عليهِ حكماً ان صحَّ لم يبقَ للاوربيين املٌ كبير ان يعمروا افريقية ويجدوا فيها جبالاً باردة تخفف لظى الصيف وتغنيهم عن الرجوع الى بلادهم سنة بعد اخرى

ووجود الثلج في قلب افريقية على خط الاستواء تماماً امرٌ يبعد تصديقهُ على مَن لم يرَ الثلج هنالك ولا رأى تعليلهُ في كتب الطبيعيات . واما الذين لهم المام بالعلوم الطبيعية فيعلمون ان طبقات الجو باردة جداً لا حرارة فيها لان الحرارة انما تصل الى الارض من الشمس واذا مرَّت في الجو اللطيف الهواء القليل البخار المائي لم تسخنهُ لانهُ شفاف لها فتخرقهُ وتصل الى الارض من غير ان تخسر شيئاً ثم اذا وصلت الى الارض وكانت مائلة جداً لم تسخنها واما اذا كانت عمودية او قريبة من العمودية فانها تسخن سطحها والهواء المجاور لهُ . فلا تكون الحرارة الاَّ في سطح الارض وما يجاورهُ حيث تقع اشعة الشمس عمودية او قريبة من العمودية وفوق ذلك يبرد الهواء رويداً رويداً حتى يبلغ درجة الجليد اي الدرجة التي يجمد عندها الماء ويصير جليداً و يصير بخار الماء ثلجاً . والحد الذي يبرد فيهِ الهواء الى هذه الدرجة يصل الى سطح الارض عند القطبتين لشدة ميل الاشعة هناك ويرتفع رويداً رويداً بالدنو من خط الاستواء حتى يبلغ ارتفاعهُ نحو سبعة آلاف قدم في جبال الالب وعشرة آلاف قدم في جبل لبنان وثلاثة عشر الف قدم الى اربعة عشر الف قدم عند خط الاستواء . فاذا كان جبل عند خط الاستواء ارتفاعهُ ١٥ الف قدم عن سطح البحر فقنتهُ تبقى مغطاة بالثلج على مدار السنة . وجبال القمر في قلب افريقية وجبال الاندس في اميركا الجنوبية من هذا القبيل فيبقى الثلج مغطياً قننها على مدار السنة ولو كانت على خط الاستواء لان ارتفاعها اكثر من اربعة عشر الف قدم

وقد يظن لاول وهلة انهُ اذا وُجد في قلب افريقية جبل يكسوهُ الثلج على مدار السنة فالهواء في ما يجاورهُ يجب ان يكون بارداً منعشاً كما هو في جبال الالب التي يكسوها الثلج ولكن ليس الامر كذلك لان بين المكانين فرقاً كبيراً في وقوع اشعَّة الشمس فالاشعة التي تقع مائلة ينعكس اكثرها ولا تمتصُّ الارض الاَّ شيئاً قليلاً منها ولذلك لا يشتد الحر في الاصقاع القطبيَّة ولو اشرقت الشمس يوماً بعد يوم مدة شهر او اكثر لانها تشرق وتدور قريبة من الافق فتكون اشعتها مائلة جداً على سطح الارض فلا تمتص الارض الاَّ القليل من

حرارتها وكذا تقلّ الحرارة في الصباح مع شروق الشمس لميل اشعتها حينئذٍ وتقلّ في اواخر النهار ايضاً لولا ما يبقى في الارض والهواء من حر الظهيرة. والجبال التي يبقى قليل من الثلج على قننها في الصيف حينما تكون اشعة الشمس عمودية يكسوها الثلج كلها الى سفحها في الشتاء والربيع حينما تكون اشعة الشمس مائلة

اما في ما يجاور خط الاستواء فاشعة الشمس تقع عمودية او قريبة من العمودية على مدار السنة فيشتد حرها في النهار صيفاً وشتاء ولا يبقى شيء منهُ في الليل بعد ان تغيب الشمس اذا كان المكان عالياً لطيف الهواء جدًّا لان حرارة النهار تشع سريعاً ولا يحفظها الهواء اللطيف فتبرد الاماكن العالية بردًا شديدًا يجمّد الماء ويصيرهُ جليدًا . والبخار المائي الذي يصل الى تلك الاعالي يستحيل ثلجًا كما ترى في مقالة اخرى في هذا الجزء فتبقى قنن تلك الجبال العالية البالغة حد الجليد مغطاة بالثلج والجليد على مدار السنة ولكنهما يبقيان محصورين فيها لا يطفَّان على ما حولها الى سفوح الجبال والسواحل البحرية كما يحدث في البلدان الشمالية والجنوبيَّة حيث يشتد ميل اشعة الشمس في فصل الشتاء

والجبال التي يغطيها الثلج في افريقية ثلاثة جبال اطلس في الجنوب الغربي في المغرب الاقصى وارتفاعها نحو ١٥٠٠٠ قدم وجبال القمر على خط الاستواء وارتفاعها نحو ١٨٠٠٠ قدم وجبل كنيا وارتفاعهُ نحو ١٩٠٠٠ قدم وهو الى الشرق الجنوبي من جبال القمر. ويقع الثلج ايضاً على جبال كميرون في غربي افريقية ولكنهُ لا يبقى فيها على مدار السنة لان ارتفاعها ١٢٤٨٠ قدماً فقط

وقد وصف المستر مور جبل كنيا وجبل القمر على اثر زيارتهِ لهما فقال " يرى جبل كنيا من سكة اوغندا فان القطار يقطع قفار الساحل الشائكة فيصل اولاً الى سهول يبَّست الشمس ما فيها من الاعشاب فظهرت كحقول حصدت ووراءها جبل منفرد لهُ قنتان كبيرتان اسم احداها كيبو واسم الاخرى كيليما نجارو على الاولى منهما قليل من الثلج متفرقاً نتفاً اما الثانية فالثلج يكسوها كلها ويمتد على الشعاب التي حولها كاهداب الرداء ولكن شكل هذه القنَّة يمنع تكوُّن انهار الجليد حولها ولو كان الثلج كثيرًا عليها ولا تظهر انهار الجليد الاَّ في جبل كنيا نفسهِ وهو الى الشرق من القنتين المذكورتين فهناك انهار الجليد اي الجليد الذي يسير سيرًا بطيئاً في الشعاب على جوانب الجبل كأَنهُ نهر بطيء السير جدا حتى اذا بلغ سفح الجبل ذاب طرفهُ وبقي ما فوقهُ يمدهُ بالجليد وتقع عليهِ الحجارة من جوانب الجبل وهو سائر فيحملها على عاتقهِ ويلقيها حيث يلقي عصاهُ ويذوب من حر الهواء فتبقى هناك كوماً كوماً شاهدة على سير انهر الجليد كما هي في بلدان كثيرة . وتُرَى هذه الحجارة على بعد شاسع من جبل

كنيا لا تصل اليهِ انهر الجليد الآن دلالة على انها كانت تصل اليهِ في غابر الزمن وان اقليم تلك البلاد كان اقل حرارة منهُ الآن . واذا قطعتَ جبل كنيا غرباً وسرت بين جبل الغون وبحيرة فكتوريا بلغت سهلاً عالياً ينتشر امامك كالبساط وهو نجود تتخللها الآجام ويغطيها نبات البردي واذا سرت فيهِ غرباً بلغت سفح الجبال العظيمة المعروفة بجبال القمر

"زرت هذه الجبال في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ ولم يكن احد من اهالي اوربا قد وصل الى حد الثلج فيها ولا رأى احد انهر الجليد الجارية منها فكان غرضي الاول من المجيء اليها الوصول الى حد الثلج واكتشاف ما ربما يكون فيها من انهار الجليد . فصعدت مع رفاقي وضربنا في عرض الجبل من الشرق الى الغرب خارقين حراجهُ الكثيفة وتابعين مجرى نهر موبوكو وهو بارد الماء كالثلج الى ان بلغنا منعطفاً كالهلال رأيت فيهِ ثلاثة من انهر الجليد تسير الى الوادي في جهات مختلفة وقد اتشحت بوشاح الزبرجد . والثلج على هذا الجبل طبقات مرصوفة بعضها فوق بعض ثلج فجليد فثلج فجليد وهكذا وسبب ذلك ان الشمس تشرق بعد وقوع الثلج فيخور من شدة حرارتها ويندى سطحهُ ثم تغيب فيبرد سطحهُ حالاً ويجلد . وهذا شأن اماكن كثيرة في افريقية يشتد البرد فيها ليلاً حتى يجمد الماء ثم يشتد الحرُّ نهاراً حتى تذوب الاجسام

"ومعلوم ان اكبر عائق يعوق الاوربيين عن سكنى افريقية هو حرها الشديد فاذا كان فيها اماكن يبرد الهواء فيها حتى يماثل برد القطبين فلا بدَّ من ان يكون فيها اماكن اخرى بين بين لا برد قارس ولا حر لافح . هذا ما ظنهُ كثيرون ووطنوا نفوسهم عليهِ فكان غمامة صيف تقشعت على ما ثبت لي بالاختبار فان الاماكن العالية علوًّا كافياً لبرد الهواء قليلة وضيقة المساحة وبعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً تفصل بينها قفار قاحلة واجام كثيرة الحميات وجراثيم الحمى تبلغ الاماكن العالية حتى لقد اصيب البعض بها وهم على خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر

"ومقدار المطر الذي يقع سنويًّا يختلف اختلافاً كبيراً من سنة الى اخرى ومن وقت الى اخر وتكثر العواصف وتشتد الزوابع وتنقضُّ الصواعق على الاشجار والبيوت فتمزقها وتصم الآذان بصوتها وتقع الامطار سيولاً جارفة فلا تبقي ولا تذر"

هذا ما قالهُ المستر مور ولعلَّهُ غير بعيد عن محجَّة الصواب ولو كان قلب افريقية مما يسهل تعميرهُ لما تقلَّص ظل العمران عنهُ الى الآن لكن ما تعذَّر على الاقدمين قد لا يتعذَّر على ابناء هذا العصر الذين ذللوا الصعاب فقد يحولون هجير خط الاستواء برداً وسلاماً وما ذلك على العلم بعسير

دلالة الغيم

وتحقيقات جديدة

الغيم بخار عائم في الهواء تقلَّص بعضهُ حول دقائق الغبار فصار نقط ماءٍ صغيرة وجمد البعض الآخر من شدَّة البرد فصار قطعاً صغيرة من الجليد

وهو يظهر على اشكال مختلفة لا تقع تحت حصر ولكن يظهر لدى امعان النظر فيها انهُ يمكن ردها كلها الى ثلاثة انواع اصلية وثلاثة فرعية ونوع سابع مؤَلف منها . هذا هو تقسيم لوك هوَرد لها منذ سنة ١٨٠٢ وقد جرى العلماءُ عليهِ حتى الآن ورأَوا انهُ ينطبق على انواع الغيم في كل البلدان والاقاليم

وللانواع الاصلية ثلاثة اسماءٍ لاتينيَّة وهي السرُّس اي المتجعد كالشعر الاجعد والكمولس اي المتراكم والستراتس اي المنبسط . واسماءُ الانواع الفرعية مركبة منها وهي السرُّكمولس والسرُّستراتس والكمولوستراتس والنوع السابع يسمَّى نمبوس ومعناهُ الغيم مطلقاً . وقد رُسمت هذه الانواع السبعة في الشكل المقابل

وكان المظنون ان الغيم لا يرتفع اكثر من خمسة اميال فوق سطح الارض فثبت بالمراقبة والقياس انهُ يرتفع اكثر من ثمانية اميال ويبلغ ارتفاعهُ احياناً ٤٣٨٠٠ قدم فيعلو فوق اعلى جبال الارض نحو خمسة عشر الف قدم

وقد ظهر من البحث ايضاً ان الغيم يكون في ثلاث طبقات مختلفة الطبقة السفلى منها تكون بين ٢٠٠٠ قدم و٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر والطبقة الوسطى تكون بين ١٢٠٠٠ و١٥٠٠٠ قدم والعليا بين ٢٠٠٠٠ و ٢٧٠٠٠ قدم . ولا غيم بين الطبقة السفلى والوسطى ولا بين الوسطى والعليا كأَن الغيوم ثلاث مناطق محيطة بالارض لا اتصال بينها. هذا هو الغالب لكن السفلى قد تنحط عن ذلك فتصل ذيولها الى الارض والعليا قد تسمو فيبلغ ارتفاعها ٤٣ الف قدم او اكثر كما تقدَّم

والطبقة السفلى يدخل فيها الستراتس والكمولس واما الوسطى والعليا فتتكونان من السرُّس والسرُّكمولس . وقد يعظم الكمولس حتى يمتد من الارض الى اعلى طبقات الجو فيبلغ ارتفاع اعلاهُ ٢٠٠٠٠ قدم. واذا صعد الانسان في بالون في وسط غيمة مثل هذه وجدها مؤَلفة من ثلاث طبقات السفلى مزيج من الهواء الجاف والبخار والوسطى هواء جاف وبخار وماءٌ والعليا

النوع الذي فيهِ صورة طائر واحد هو السرُّس . والذي فيهِ طائران السركمولس . والذي فيهِ ثلاثة طيور السرستراتس والذي فيهِ اربعة طيور الكمولس . والذي فية خمسة النمبُس. والذي فيهِ ستة الستراتس

بخار برَد فصار جليداً وماء وقطع صغيرة من الجليد وفي اعلى هذه الطبقة جليد صرف . وتحط الحرارة هناك احياناً حتى تبلغ الدرجه ٧٥ تحت الصفر

اما الستراتس وهو الغيم المنبسط فوق الارض فقلما يعلو فوق ٤٠٠٠ قدم ويتكون غالباً من انبساط غيوم الكمولس وقد يغطي وجه السماء الليل كلهُ ثم ينقشع حالما تشرق الشمس والأ صار من السحب المواطر

والسحب المواطر التي تُرَى تحت الكمولس حينما تكثر الصواعق مزيج من الانواع الثلاثة وهي اكثف انواع الغيم

والى شمالي خط الاستواء منطقة من النوع السابع المعروف بالنمُبس عرضها نحو ٣٠٠ ميل تحيط بالارض كلها ويقع منها مطر غزير على البلاد الحارَّة يتدفَّق منها تدفُّقاً كأنهُ من افواه القرَب . ويغلب السكون هناك ولكن تتخلَّلهُ العواصف احياناً . وسبب هذه المنطقة الرياح التجارية الحادثة من دوران الارض وحرارة الانحاء الاستوائية

والغيوم تتكوَّن من البخار الصاعد من الارض والبحر وتختلف اشكالها والوانها باختلاف الحر والبرد ومجاري الرياح ووقوع اشعة النور . فكلما زاد الهواء حرارة قلَّ ظهور الغيوم حتى لا تكاد تراها في فصل الصيف في هذا القطر الآَّ نادرًا مع ان الجو لا يخلو منها في البلدان البادرة حتى لقد وجدوا بالمراقبة ان السماء تكون غائمة سبعة اعشار الوقت في البلاد الانكليزية فاذا انقشعت الغيوم ثلاث ساعات اطبقت سبع ساعات وذلك لان الهواء الحار يحمل مقدارًا كبيرًا من البخار الشفاف واما الهواء البارد فلا يحمل الاَّ مقدارًا صغيرًا منهُ فان زاد فيهِ تكاثف وصار ضباباً او سحاباً

والغيوم من اصدق الادلَّة على احوال "الطقس" ولاسيما اذا روقبت عند شروق الشمس وعند غروبها فاذا انتشرت حول الشمس وقت المغيب كانها الاسماك في البحر وضرب لون الشمس الى الحمرة دلَّ ذلك على قرب عصف الرياح . واذا كان الغيم خطًّا طويلاً فوق الشمس وقت غروبها عصفت الرياح الغربيَّة . واذا كان لونهُ رصاصيًّا عند مغيب الشمس دلَّ على مطر من غير ريح . والغيم الرقيق الذي اطرافهُ غير محدودة دليل الصحو واما الكثيف المحدد الاطراف فدليل المطر . وتختلف هذه الدلالات باختلاف الاماكن والاقاليم ولو جرت على وتيرة واحدة في المكان الواحد

السل وعلاجهُ الحديث

جاء محل عيادتي منذ ايام قليلة احد الافاضل وفي يدهِ عدد من اعداد المقطم ذُكر فيهِ شيءٌ عن دواء جديد للسل جرَّبهُ احد اطباء برلين ونجح في كثيرين من المصابين بالسل. وسألني هذا الفاضل رأيي في هذا العلاج وكيفية الحصول عليهِ وغير ذلك من المسائل التي تتكرر على مسامعي كل يوم ممن يقرأُون في الجرائد اليومية عن الاكتشافات الطبية الجديدة وعن عجائب العلاجات الحديثة . فخطرت لي كلمة في هذا الموضوع ربما تجيءُ بفائدة فنبهت العليل الى ان الشفاء لا يرجى من جرعة دواء حديث لاسيما في مرض مثل السل وكتبت هذه العجالة

لا يمر يوم الاَّ ونرى في الجرائد اليومية ذكر دواء جديد او علاج مفيد في باب الاكتشافات او في باب الاعلانات الطويلة العريضة القائلة ان الدواء الفلاني يشفي من العلة الفلانية او من اكثر العلل ونحو ذلك من الاقوال التي تضل العامة وتحيد بهم عن اتباع الطرق القويمة لنيل الشفاء من العلل او تخفيف الآلام . فان كثيرين من البسطاء يتهافتون على مشترى الادوية المار ذكرها ويتجرعونها وهم يتوقعون منها الشفاء السريع فاذا خاب املهم وجهوا ملامهم الى الطب والاطباء وما ذلك الاَّ لانهم يجهلون ما يجب على كل عاقل معرفتهُ وهو ان الطبيب الحاذق يدرس العليل وهو يدرس علتهُ فيصف لهُ ما يلائم طبعهُ ومزاجهُ وعلتهُ بمقادير مناسبة ولذا كانت استشارة الاطباء واجبة قبل اخذ الدواء

والسل داءٌ فتاك بجانب كبير من البشر واسع الانتشار في المعمورة حارب الانسانية منذ القرون السالفة ولا يزال ينتاب الناس على اختلاف طبقاتهم ورتبهم . عرفهُ اليونان والرومان وكثرت علاجاتهم لهُ منها ما يضحك اطفال هذه الايام ومنها ما يسلّم بهِ العقل. الاَّ ان حقيقة السل وسببهُ لم يعرفا تماماً حتى قام كوخ واكتشف الميكروب او الباشلس المعروف باسمهِ وبيَّن ان علاقة هذا الباشلس بداء السل والتدرُّن مستديمة. و بحث كوخ في هذا الموضوع بالغ الغاية في الدقة ومستوفٍ الى حدٍّ انهُ لم يزد عليهِ احد شيئاً مع انهُ قد مضى عليهِ سنون عديدة منذ ظهورهِ بل ان قول كوخ جُعل اساساً لكل مبحث في هذا الموضوع . وجملة القول ان كوخ اكتشف جسماً مكرسكوبيّاً مستطيلاً اعقف اذا جمع الف ميكروب منهُ لم يبلغ طولها كلها سوى ثلاثة مليمترات او اربعة يصبغ بالانيلين ويحفظ لون الصبغة ولو وضعت عليهِ الحوامض خلافاً لغيرهِ من انواع الميكروبات (ما عدا باشلس الجذام)

ووجد كوخ ان هذا الميكروب موجود في كل عضو من اعضاء الجسم المصاب بالتدرُّن

وكذلك في رئات المسلولين ونفثهم وانهُ اذا ربي في المواد التي يعيش فيها وطعمت بهِ بعض الحيوانات الصغيرة اصيبت بالتدرن. ويستنتج من ذلك انهُ هو علة السل وان الوراثة انما تساعد الباشلس باعدادها اجساماً صالحة لنموهِ اي ان ابن المسلول يكون جسمهُ مستعدًّا لقبول ميكروب السل اكثر من جسم من كان ولداهُ او اسلافهُ اقوياء اصحاء لا يعرفون السل

واعراض السل معلومة لدى الجمهور اكثر من اعراض اي مرض سواهُ لذلك لا اتعرض لذكرها هنا اذ ليس قصدي وصف العلة واعراضها وصفاً علميًّا دقيقاً بل اظهار طريقة العلاج الحديثة لهذا الداء ومنها يعرف ان الشفاء لا ينال بالادوية والعقاقير بل بطرق المعالجة والمداراة والاعتناء وكلها امور اصبح لها المقام الاول في عرف الطب الحديث

تكثر جرائد اوربا واميركا من ذكر "السناتوريا" (المصحات) فانها اصبحت ملجأً للمسلولين يعالجون فيها على الطرق الحديثة النافعة ويتمتعون بالراحة والرفاهة مما لا يحصل عليهِ الانسان في بيتهِ ما لم يكن من ذوي اليسار وقد اهتم اهل العاصمة بمسألة السل في العام الفائت والفوا لجنة كنتُ من جملة الذين دعوا للانضمام اليها والقصد منها مقاومة مرض السل في القطر المصري الاَّ ان الهمم فترت عن هذا المسعى الجليل وربما عادت يوماً اليهِ فاسفرت المسألة عن بناء "سناتوريوم" (مصح) في حلوان على شاكلة المصحات في البلاد المتمدنة

اما المبادئ التي تدور عليها المعالجة الحديثة في المصحات فهي هذه

(١) استنشاق الهواء النقي وتكييفهُ بحيث لا تتغير درجة حرارتهِ تغيرًا يشعر بهِ

(٢) التغذية الجيدة الكافية لحفظ الجسم على وزنهِ الطبيعي اي كما كان قبل المرض

(٣) العيشة القانونيَّة المرتبة التي تعفي كل اعضاء الجسم لاسيما الرئتين من التعب

(٤) الرياضة المعتدلة

ولا بدَّ لي من شرح كل من هذه الامور الاربعة شرحاً موجزًا

(١) يفرض على العليل في المصحات ان يعيش في الهواء النقي دواما ولا يتعرض لتغيرات الحرارة مثل ان ينتقل من غرفة دافئة الى غرفة باردة وان تحفظ حرارة غرفتهِ نهارًا وليلاً مثل حرارة الهواء خارجاً بان تترك الشبابيك والنوافذ مفتوحة فلا يدخلها الاَّ الهواء النقي الخالي من الغبار ومن المواد الضارة وبذا يقوى جسمهُ فلا يعود يتعرَّض للزكام ولا تشتد عليهِ العلة فيتيسر للانسجة التي يكون قد بدأ فيها المرض ان تعود الى الشفاء قدر استطاعتها. ثم انهُ يترك وحدهُ في كثير من الاوقات فلا يسمح لاحد ان يدخل غرفتهُ. ويدقق في مسألة انتقاء الفرش والاثاث لغرفتهِ ويعتنى اشد الاعتناء بتنظيف كل الادوات التي يمسها او

يستعملها وتوضع لهُ مبصقة فيها من المواد القاتلة للباشلس وبالاختصار يقال ان قسماً مهماً من معيشتهِ يتوقف على الهواء النقي

(٢) التغذية الكافية بالرغم عن فقد شهيَّة الطعام فيجبر على اكل كميَّة وافرة من الطعام لا تقلُّ عمَّا كان يأكلهُ وهو سليم فيصرف نحو ساعتين احياناً ليتمكن من تناول الكمية المفروضة عليهِ . ويطعم ثلاث مرات في النهار ولا يمنع من المآكل التي يريدها ويطلبها بشرط ان تكون مغذية ومطبوخة طبخاً جيداً ويتخب لهُ ما كثرت فيهِ المواد الدهنيَّة ويسقى كميات وافرة من اللبن مع هذه الوقعات الثلاث فيشربهُ كأنهُ الماء ويداوم على ذلك الى ان يعود جسمهُ الى وزنهِ الاصلي فيسقى حينئذٍ البيرا او النبيذ عوض اللبن حسب مقتضى الحال . وقد اكد الاطباء المكلفون بالمصحات ان كثرة الغذاء تاتي باحسن الفوائد الصحيَّة للمسلولين وانها احسن واسطة لهبوط درجة حرارة الحمى . وكثيرون من هؤلاء الاطباء يطعمون مرضاهم وهم واقفون امامهم يكلمونهم ويشجعونهم على الاكل

(٣) ترتب معيشة العليل حتى ينام ويأكل ويشرب في اوقات معينة وكذلك يسمح لهُ بالرياضة المعتدلة مثل المشي ببطء وصعود التلال مسافات قصيرة تختلف من بضعة امتار الى ميل واحد او اكثر حسب مقدرة العليل ثم النزول من التلال ويمنع عن العدو او الركض فان ذلك يزيد عمل الرئتين ويرفع درجة الحرارة . وكذلك يمنع عن مباشرة كل مهيج من شانهِ ان يرفع الحرارة كالضرب على البيانو او لعب الورق او الشطرنج . ومن كان قد تمكن منهُ المرض يمنع من مقابلة اصدقائهِ ومعارفهِ خوف ان يتأثر من ذلك فيأول هذا التأثر الى معاكسة المعالجة

(٤) اما الرياضة ونوعها ومدتها فتتوقف على حالة المريض لذلك وجب ان تكون تحت مراقبة الطبيب دواماً يتدبر امرها معتمداً على شعور العليل وتأثير الرياضة على جسمهِ

وبالاجمال يقال ان معالجة السل الحديث تقوم بتوجيه القوى والافكار الى تقوية الاجسام وجعل انسجتها قادرة على مقاومة شر العدو الفتاك ألا وهو باشلس السل

قال احد اطباء هذه الايام وهو يبحث عن انتشار السل ووسائل الوقاية منهُ التي آلت الى تقليل عدد الوفيات بهِ عمَّا كانت عليهِ قبلاً " ان ارتفاع اجور العمال من كل الطبقات وتحسن المعيشة واتخاذ الوسائط الصحية كالاهتمام بامر مساكن الفقراء كانت السبب الاكبر في اضعاف قوة السل فقللت عدد ضحاياهُ " . فعسى ان ينتبه القراء الكرام الى هذه الامور ويذكروا ان غاية ما ينظر اليه في علاج هذا الداء الهواء النقي والتغذية الكافية والعيشة القانونية والرياضة المعتدلة

انيسة صيبعة

دكتور في الطب والجراحة

طفل مدى الحياة

يرى الناظر في غرائب الخلق شذوذًا كثيرة لا تقع تحت حصر حتى في نوع الانسان الذي فاق انواع الحيوان جمالاً واعتدالاً ومرَّت عليهِ القرون وهو يجاهد جهاداً يبقي اصلحهُ للبقاء . ومن هذه الشذوذ الاقزام الذين يبلغون تمام نموهم وهم صغار القد كالاطفال الذين عمرهم بضع سنوات حتى لقد زار هذا القطر قزم وقزمة جازا سن الشبيبة ولا يبلغ طول كلٍّ منهما ثلاث اقدام . لكن الاقزام الذين من هذا القبيل يكونون في الغالب كاملي البنية الجسدية والعقلية يسيرون مثل سائر الناس ويتزوج بعضهم ويخلفون نسلاً فهم رجال ونساء صغار الابدان لا غير ولكن من الناس من تمرُّ عليهِ السنون ويبقى صغير القد كالطفل ويبقى منظرهُ منظر طفل

قيل انهُ توفيت فتاة في المانيا منذ سنين قليلة وعمرها ثمانٍ وعشرون سنة وقد مضت عليها هذه السنون الطوال وهي تنام في سرير الطفل ومنظرها منظر طفل لا تفرق عنهُ الاَّ في كلامها وذكاء عقلها فانها كانت تتكلم مثل فتاة بالغة سن الادراك . وقد زعمت امها ان نمو جسمها توقف بسبب رعْب اصابها وهي طفلة عمرها بضعة اشهر لكن ذلك بعيد عن التصديق لان الرعب اصاب الام ولم يصب البنت . ومهما يكن من السبب الذي اوجب توقُّف نموها فان جسمها بقي جسم طفلة مدى حياتها حتى كان الذين يزورونها يندهشون حينما يرون طفلة تكلمهم وتسائلهم وتجادلهم كأَنها فتاة في العشرين من عمرها واسم هذه الفتاة ماري شومن

ومن قبيل ذلك فتاة اخرى توفيت في بلاد الانكليز وعمرها سبع وعشرون سنة وقد بقيت كل ايامها مثل طفلة عمرها سنتان او ثلاث وبقي عقلها صغيرًا مثل جسمها وبلغت هذا السن ولم تستطع النطق فبقيت طفلة جسمًا وعقلاً مع ما مرَّ عليها من السنين الاَّ انها كانت وديعة انيسة محببة الى الذين يرونها وكانت امها تعمل في معمل يعمل فيهِ النساء فاحبها نساء المعمل كلهنَّ وبكينها لما ماتت كما يبكين اولادهنَّ . واسمها سارا اغنس سمسن

ومنذ مدة جاءت امرأة دار الشرطة في مدينة لندن تطلب صدقة من صندوق الصدقات ومعها طفلة تظهر مثل ابنة سنتين او ثلاث وعمرها تسع عشرة سنة وكانت تتكلم مثل طفلة عمرها سنتان لا غير ولا تستطيع ان تفعل شيئًا غير ما يفعلهُ الاطفال الذين عمرهم شهران او ثلاثة فقط لكن رأْسها كان كبيرًا مثل رأْس البالغ

وفي الولايات المتحدة الاميركية فتاة اسمها جني لودر عمرها اكثر من ستين سنة وثقلها نحو

١٦ أقة وطولها نحو ٤٧ عقدة وهي في بقية الامور مثل الاطفال تماماً فلا تسرُّ الاَّ باللعب مع الاطفال ولا تعد نفسها الاَّ طفلة مثلهم . ولا تكلم الناس الاَّ في موضوع واحد وهو ما عساها ان تفعل حينما تكبر . وقد ترك لها والداها مالاً طائلاً فيعتني بها الاعتناء التام

وعُرِض بالامس في اميركا ولد عمرهُ ست سنوات لكن الذي يراهُ يحسبهُ طفلاً عمرهُ ستة اشهر لا غير لانهُ مثل ابن ستة اشهر منظرًا ووزنًا وقد دخلت بهِ امهُ الى مجلس القضاء وهي تحملهُ علي ذراعيها كالطفل الصغير . وفحص الاطباء هذا الولد وقرَّروا ان نموَّهُ توقف لفقد الغدَّة الدرقية احدى الغدد الكبيرة في العنق التي حار الاطباء في معرفة وظيفتها تماماً لكنهم عرفوا ان فقدها يوقف نمو الجسم

ومن اغرب هؤُلاء الاطفال او المسوخ رجل اسمهُ يوحنا مورفي لما كان عمرهُ خمساً وخمسين سنة لم يكن وزنهُ سوى عشر اقات وتوفي وعمرهُ ست وخمسون وبقي حتى وفاتهِ لا يمشي ولا يقف ولا يجلس لان عظامهُ وعضلاتهِ كانت تخالف عظام الناس وعضلاتهم فصنعوا لهُ كرسياً خاصاً كانوا يحملونهُ بهِ . وكان شنيع المنظر جداً لكنهُ كان يأكل ويشرب ويطرب مثل سائر الناس وكان رأسهُ سليماً وعقلهُ راجحاً وذاكرتهُ بالغة حد الاعجاز فكان يحفظ كل شيء ويعيهِ ويستحضرهُ حتى اذ كرتنا قصتهُ قصَّة شق وسطيح المذكورة في كتب العرب

وخلاصة ما ذُكر عن شق وسطيح انهما كاهنان الاول منهما نصف انسان اي لهُ يدٌ واحدة ورجل واحدة وعين واحدة والثاني واسمهُ ربيع بن ربيعة الذيبي لُقِّب سطيحاً لانهُ سطيح اي لا عظم لهُ ولا بنان وكان يطوى مثل الحصير ولم يكن لهُ رأس ولا عنق وانما وجههُ في صدرهِ . ونسبوا الى شق وسطيح اقوالاً يدلُّ ظاهر لفظها وما فيها من السجع المحكم على انها موضوعة كقول سطيح لربيعة بن نصر اللخمي احد ملوك لخم "احلفُ بما بين الحرَّتين من حنش . ليهبطنَّ ارضكم الحبش . وليملكنَّ ما بين ابيَن الى جرَش" فسألهُ الملك متى يكون ذلك افي زماني ام بعدهُ فقال "بل بعدهُ بحين . اكثر من ستين او سبعين . يمضي من السنين" . فقال هل يدوم ملكهم او ينقطع قال "ينقطع بضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين" . قال الملك ومن الذين يلي ذلك . قال "يليهِ ابن ذي يزن . يخرج عليهم من عدَن فلا يترك احد باليمن" . واحضر الملك شقّاً وسألهُ كما سأل سطيحاً فقال "بما بين الحرتين من انسان لينزلنَّ ارضكم السودان وليملكنَّ ما بين عدن الى نجران" . وسألهُ مسائل اخرى كما سأل سطيحاً فاجاب اجوبة تخالف اجوبة سطيح لفظاً وتوافقها معنىً وهي مثلها سجعاً

ويروى عن سطيح انهُ كان يسكن بمشارف الشام وجاءهُ ابن اختهِ عبد المسيح بن عمرو

الغساني فوجدهُ قد اشفى على الموت فحيَّاه فلم يجبهُ فرفع عبد المسيح صوتهُ وقال

اصمٌّ ام يسمع غطريف اليمن يا صاحب الخطَّة اعيت مَن ومنْ

ففتح سطيح عينيهِ وقال "عبد المسيح . على جمل مشيح . وافى الى سطيح . وقد اشفى على الضريح . بعثك ملك ساسان . لارتجاس الايوان . وخمود النيران . ورؤْيا الموبذان . رأى ابلاً صعابا . تقود خيلاً عرابًا . قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس . يا عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة سارة لم تكن بابل للفرس مقامًا ولا الشام لسطيح شامًا . وسيملك منهم ملوك وملكات . على عدد الشرافات وكل ما هو آتٍ آتٍ

وكان كسرى انوشروان قد اوفد عبد المسيح الى سطيح يسألهُ عن الآيات التي ظهرت لهُ

ويستبعد ان يكون شق وسطيح كما وصفهما كتَّاب العرب اي ان احدهما شق انسان والآخر لا رأس لهُ وانما وجههُ في صدرهِ وكلاهما ينبئُ بالمستقبل ولكن لا يُستبعد ان يكونا مسخين ويكونا ذكيي الفؤاد واسعي الاختبار شديدي الحفظ فان بعض الاقزام المشوهي الخلقة غاية في الزكاء وسرعة الخاطر

العرافة الحديثة

وفاجعة ملك السرب

اوردنا في الجزء السابق خبر العرَّافة التي ادَّعى المستر ستد محرر مجلة المجلاَّت الانكليزية انها انبأت بفاجعة ملك السرب قبل وقوعها بثلاثة وثمانين يومًا . وعقَّبنا على ما ذكرهُ المستر ستد بما يتضح منهُ اننا مرتابون في صحة روايتهِ منكرون للنتيجة التي وصل اليها . وقد وعد المستر ستد ان يوافي القراء بما اثبتتهُ جمعيَّة المباحث النفسية في هذا الشان . وجاءتنا مجلَّة المجلاَّت الآن وفيها انجاز لوعدهِ لكنهُ جاء موافقًا لرأينا لا لرأيهِ فقد قال ان الجمعيَّة بعثت اليهِ رجلاً اسمهُ المستر بدنجتون في التاسع عشر من شهر يونيو اي بعد الفاجعة بثمانية ايام فذاكر سكرتيرهُ في ذلك ثم كتبت كاتبة الجمعية الى المستر ستد الكتاب الآتية ترجمتهُ

عزيزي المستر ستد

اشكرك على كتابك الذي بعثت بهِ اليَّ في ١٦ يونيو ردًّا على سؤالي عن الانباء بمقتل ملك السرب

وقد عاد المستر بدنجتون الآن بعد ان ذهب الى محلك وكنتَ غائبًا عنهُ وذاكرَ سكرتيرك .

ويستدل مما علمهُ منهُ ان المسألة لا تستحق البحث ونحن آسفون على ذلك لان هذه المسألة من المسائل الكبيرة التي كان يمكن ان يبحث فيها بالتدقيق لو كان فيها مستندات يعوَّل عليها ولكن يظهر ان كل ما يعتمد عليهِ فيها مبنيٌّ على ذاكرة بعض الحضور لانهُ لم يكتب احد شيئاً حينئذٍ والحضور مختلفون في ما يتذكرونهُ عن بعض الامور الجوهرية اختلافاً كبيراً حتى يستحيل ان يثبت من اقوالهم شيءٌ . واذا نشرنا شيئاً عن ذلك وجب ان ننشر قول سكرتيرك وقول المستر مكدونلد اللذين يتفقان في ان العرَّافة لم تنبئ بشيءٍ عن مقتل ملك السرب وانهُ جرى حديث كثير في ذلك الاجتماع عن السرب واحوالها السياسية قبلما تكلَّمت العرَّافة وان احد الحضور سأل العرَّافة مسائل كثيرة مهمَّة عن السرب . ثم ان مسز برتشل نفسها كتبت في جريدة سنت جمس تقول ان الظرف الذي اعطيتهُ وفيهِ اسم ملك السرب كان مفتوحاً فلا يبعد ان تكون رأَت ما فيهِ

ولا يخفى ان اثبات امر فوق ما تدركهُ قوانا المعروفة مثل معرفة المستقبل يستلزم ادلَّة قاطعة ويظهر لي ان ما جرى لا يقوم دليلاً على صحَّة ما تدعي صحتهُ ومع ذلك فنحن شاكرون لك غيرتك واهتمامك بتوجيه افكارنا الى البحث في هذه المسألة الداعية

السر جنصن

وقد اجاب المستر ستد عن هذا الخطاب جواباً شديد اللهجة جدًّا فلام جمعية المباحث النفسية لوماً عنيفاً لانها لم تهتم بالبحث عن هذه المسألة البحث الواجب ولانها تميل الى النفي اكثر مما تميل الى الاثبات ولام رسولها المستر بدنجتون لانهُ اكتفى بسؤَال سكرتيرهِ ثم ادعى انهُ وجد تضارباً في اقوال الشهود وآخذ جمعية المباحث النفسية لانها تحجم عن البحث في قضية اذا لم يكن فيها مستندات مكتتبة حاسباً ان شهادة الشهود يجب ان تكفي لاثبات شيءٍ او نفيهِ اذ قيل على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة . واستشهد برجال النيابة والقضاء الذين يحكمون الاحكام بناءً على شهادة الشهود

وهنا موقع الضعف في احتجاج المستر ستد فانهُ اذا شهد شاهدان انهما رأيا رجلاً يقتل رجلاً آخر فشهادتهما على القاتل سهل تصديقها ولا سيما اذا كانا من العدول ولكن اذا شهدا انهما سمعا عرَّافاً يقول ان زيدًا سيقتل عمرًا بعد ثلاثة اشهر لم تقم شهادتهما عند القضاة دليلاً على ان زيدًا هو القاتل لعمرو بل ربما حسبوهما والعرَّاف من شهود الزور . وكذا اذا شهدا انهما رأيا رجلاً يمشي في الهواء ولا تمس رجلاهُ الارض وهو غير معلَّق بشيءٍ لم تصدَّق شهادتهما ولو كانا من العدول بل اذا اهتمَّ احد بالبحث عمَّا شاهداهُ وجَّه بحثهُ الى الخلل العقلي

الذي جعلهما يريان ما لم يقع للبشر وما لا ينطبق على ناموس من النواميس المعروفة بل يناقض ناموساً مقرَّراً منها او الى سبب اعتقادهما انهما رأيا ما لم يرياهُ حقيقة . لانهُ قد يحدث ان يعتقد الانسان انهُ شاهد شيئاً وهو لم يشاهدهُ او سمع شيئاً وهو لم يسمعهُ. والشواهد كثيرة على ذلك لا تقع تحت حصر روى لنا استاذنا الدكتور بلس ان امرأة شهدت انها رأت في صباها رجلاً يقتل آخر وقصَّت على القضاة واقعة الحال كما شاهدتها وكانت من الفاضلات المتدينات اللواتي يركن اليهنَّ ويؤْخذ بقولهنَّ لكن ظهر بعد البحث والتحقيق ان القتل المشار اليهِ حدث قبل ان ولدت وان الصور التي كانت راسخة في ذهنها كانها رأتها بعينيها انما ارتسمت في ذهنها من سماعها قصَّة ذلك القتل في صباها مرةً بعد اخرى فبقي اثرها في نفسها وصارت تعتقد انها رأَت ذلك عياناً

وهكذا انباءُ مسز برتشل باغتيال ملك السرب قبل اغتيالهِ بنحو ثلاثة اشهر فانهُ من الامور الخارقة التي لا تصدَّق الاَّ بنقض كثير من احكام العقل المعروفة واثبات احكام اخرى لهُ لا يؤَيدها شيءٌ معروف من امرهِ . ونسبة الوهم والخطإ والخداع الى الشهود اقرب الى التصديق من مناقضة احكام العقل. واقرب من هذا وذاك التعليل الذي علَّلنا بهِ هذه الحادثة وهو ان فيها خداعاً غير مقصود . ولا نرى المستر ستد مصيباً في تشديدهِ النكير على جمعية المباحث النفسيَّة ولكننا نخشى ان تكون حملتهُ عليها مقوضة لاركانها لاسيما وان رغبة الناس فيها تقلُّ عاماً بعد عام . والعمر لا يكفي للبحث عن الحقائق فكيف يضاع في البحث عن الاوهام

ثم ان المستر ستد لام جمعية المباحث النفسيَّة على اقوال تسرَّعت فيها في كتابها الذي بعثت بهِ اليهِ ان لم يكن عندها ادلة تعتمد عليها غير ما رواهُ المستر ستد كقولها ان مسز برتشل استلمت الظرف مفتوحاً فلا يبعد ان تكون رأَت ما فيهِ فقد قال المستر ستد ان مسز برتشل لم تفتح الظرف ولا رأَت ما فيهِ وهب انها فتحتهُ ورأَت ما فيهِ فاسم ملك السرب كان مكتوباً بالحروف السربيَّة وهي تجهل قراءتها

وقال ان الكلام الذي جرى عن السرب لم يكن على مسمع من مسز برتشل او انهُ لم يُقل على مسمع منها كلمة واحدة تشير الى مقتل ملك السرب . ولاشبهة في ان المستر ستد صادق في قولهِ ولكن ذلك لا ينفي ان يكون غيرهُ من الحضور اخبر مسز برتشل بما كان ينويهِ البعض لملك السرب ولو عن غير قصد منهُ . او ان ذلك كلهُ كان مقصوداً حتى يعلم بهِ سفير السرب ويعلم مولاهُ فيتجنَّب الخطر قبل وقوعهِ . والله اعلم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ردٌّ على انتقاد

البحث الخامس

قال حضرة المنتقد " فلا يعقل الاَّ انهم كانوا يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والاَّ فليسوا بشراً "

لا أعلم من اين جاء حضرة المنتقد بالجزم ان الانسان لا يكون انساناً الاَّ استعمل النقود فهل استعمال النقود فصل الانسان او خاصة شاملة لازمة لهُ كالضحك بالقوة . والحقيقة انهُ خاصة غير شاملة كالكتابة بالفعل فان العربي يستطيع ان ينال كل اسباب المعيشة بدون نقود ألا ترى ان قيس بن زهير يقول

ألم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت قلوص بني زيادِ
ومحبسها على القرشي تشرى بادراع واسيافٍ حدادِ

وعمرو بن كلثوم التغلبي يقول

فما أبقت الايام ملمال عندنا سوى جذم اذوادٍ محذقة النسلِ
ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا واقواتنا وما نسوق الى القتلِ

وفي قول قيس شاهد الحصول على السلاح بدون نقود . وفي قول عمرو شاهد الحصول على الخيل والقوت بدون نقود . واذا قلنا ان الاقوات من حاجات الحياة وقد اراد بها جميع حاجات الحياة من مأكل وملبس مجازاً من باب تسمية الكل باسم الجزء كان لنا ان نقول ان العربي يمكنهُ ان يشتري سلاحهُ وجوادهُ وطعامهُ وكساءهُ فينشد قول حاتم

سأذخر من مالي دلاصاً وسابحاً واسمر خطياً وعضباً مهنَّدا

وذلك يكفيني من المال كلهِ مصونًا اذا ما كان عندي متلدا

ولا يخرج عن كونهِ بشرًا بل يكون كما مرَّ سابقًا جوادًا عزيز الجانب شاعرًا بليغ الاقوال خطيبًا نفيس المعاني

ومما اوردتهُ هنا يظهر جليًّا وجوب ادراج ما ادرجتهُ عن استعمال النقود لئلا يقال انني ادعي ضمنًا ان العرب كانوا لا يتداولونها باثباتي الشاهدَين المارَّي الذكر الاول في بحث الاتجار والثاني في بحث القيام على الماشية

البحث السادس

قال حضرة المنتقد " اما استعمال الوزن للنقود وللفضة والذهب فان قام دليلاً فهو دليل على ضعف العمران "

اجيب (اولاً) اعجب من قول حضرة المنتقد ان وزن النقود دليل ضعف العمران فها نحن في عصر نقول ان عمرانهُ بالغ من الارتقاء ما لم يكن في العصور الماضية وموازين النقود عندنا متنوعة افيعدها دليل ضعف العمران فلا اشك ان قولهُ السابق كان وهم خاطر

بل انني لا اشك ان حضرتهُ بعد التروي يجزم بان استعمال الموازين للنقود من ادلة ارتقاء العمران . (ثانيًا) يزعم " ان استعمال الذهب والفضة وزنًا دليل ضعف العمران " و يسلم بان " اول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبل كمبيس " فهل فاتهُ ان كمبيس " ملك من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٢ ق . م [١] " وان عمران مصر وقتئذٍ كان قد دخل في دور الذبول فاستعمال النقود اذن لم يكن في ارقى دور من عمران مصر بل جاء في دور الانحطاط فلا يكون دليل عظمة العمران بل دليل ضعفهِ وهذه النتيجة لا اقول بها ولكنني اقول انها مستخرجة من كلام حضرة المنتقد

ثم سلَّم " ان اليهود ضربوا النقود اما في زمن عزرا او في زمن سمعان المكابي " فاقول ان زمن سليمان كان ارقى من هذين الزمنين اذن ينتج ان النقود لم تستعمل في الزمن الارقى عمرانًا فكيف يعد " استعمال وزن النقود دليل ضعف العمران "

ثم اننا لو سلمنا لهُ ان " نقود الاسكندر المكدوني اجمل من النقود التي تصك الآن " لكان ذلك حجة على فساد الادعاء بان " استعمال وزن النقود دليل ضعف العمران " وذلك لان النقود وقتئذٍ مع كونها اجمل من نقود عصرنا هذا لم تحل دون استعمال الوزن حتى ان يهوذا الاسخريوطي تناول ثمن المسيح وزنًا على القول الصحيح . وهنا نرجوهُ ان يفيدنا كيف يوفق بين

(١) في الصفحة ١٥٧ من كتاب النهج القويم

القول بسمو عمران ذاك العهد لان نقوده كانت اجمل من النقود التي تصك الآن والقول بضعف عمران ذاك العهد بعينهِ لانهُ كان يتعامل بالذهب والفضة وزنًا وهذا التعامل " دليل ضعف العمران " ولي حجة عليهِ اوردها وهي " ان في ايام خلافة المامون زهت العلوم واينعت حدائق المعارف فبعث العلماء الى الاقطار وجمع من كتب اليونان كل ما طالت يدهُ اليهِ ثم استخلص نقاوتها وامر بترجمتها وتوزيعهِ على اهل بلادهِ . . . وقال آخرون انهُ بذل الى ثاوفيلوس قيصر القسطنطينيَّة مئة وزنة من الذهب على ان يبعث اليهِ بلاون الرياضي " (٢)

فاننا نجد في هذا القول دليلاً على استعمال الذهب وزنًا في عصر المامون ازهى العصور الاسلامية وكفى بهِ دليلاً على فساد القول "بان استعمال الذهب وزنًا دليل ضعف العمران"

البحث السابع

قال حضرة المنتقد " ولقد احسن في ما جمعهُ من الابيات التي توصف بها ملابس العرب رجالاً ونساءً ولكن كل ما ذكرهُ . . . لا يدل على ان العرب كانوا في عصر الجاهلية ارقى عمرانًا من الاحباش او السودان اليوم "

اجيب : ابنتُ تفنن العرب في نسيج ملابسهم واتخاذ بعضها من الغالي الثمن وفي ذلك دليل على البراعة في الصناعة والسعة في الغنى وهما من ادلة العمران ولم اتخذهما وحدهما دليل عمران الامة العربيَّة بل اضفت هذين الدليلين على ما سبقهما واتبعتهما بادلة اخرى . فليتمهل حضرة المنتقد في حكمهِ بمنزلة عمران العرب حتى يفرغ من مطالعة جميع ادلتهِ فان الفاضل والمفضول قد يجوز تساويهما في امور مشتركة بين الفريقين ولا يحول هذا الاستواء دون فضل الفاضل

البحث الثامن

قال حضرة المنتقد " وكان ملوك الامم يلبسون تيجان الذهب من قبل ايام سليمان . . . فاذا لبسها ملوك العرب بعد المسيح بقرون كثيرة فليس لذلك شأن يذكر "

اجيب : اذا كان سليمان لبس تاج ذهب فلا يدلُّ ذلك على ان ملوك العرب لبسوا التيجان الذهبيَّة فكان ما اوردتهُ من هذا القبيل لمجرد اثبات حقيقة ولو لم اثبت ذلك لكان مجال لاحتمال احد امرين اما القصور في البحث او ان ملوك العرب كانوا لا يلبسون تيجانًا

البحث التاسع

قال حضرة المنتقد " الاستدلال على عمران العرب بابيات يقال فيها انهم ياكلون

(٢) الفصل الرابع من المقالة العاشرة من كتاب صناجة الطرب

ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيء من التنويه بقدرهم"

اجيب : ان كان قولهُ "مثل سائر الناس" توجيهاً ليشترون فقط أعترِضُ على اطلاقهِ ياكلون فان من المآكل ما يدل على المدنية كاكل الكلاب والجرذان والقطط الخ وان كان قولهُ "مثل سائر الناس" توجيهاً ليأكلون وما يتلو فهو توجيه فاسدٌ فقد اوردتُ ان معاطاة الشراب كان لهُ عند العرب اعتبار خاص فهم لا يشربون "مثل سائر الناس"

وبما ان الاعتراض عليَّ غير مستقيم التوجيه ولا الاطلاق ارجو المنتقد ان يتكرم بإحكام توجيههِ او اطلاقهِ ليصح لهُ انتاج ما انتجهُ

وفي ختام الردّ اشكر فضل حضرة المنتقد على ما تحرّاهُ من الالماع الى وعوثة الطريق التي سلكتُ فيها شكرًا اسطرهُ من صميم الفؤاد

امين ظاهر خير الله

التاز

بنوهُ على تلك اللحاظ الفواتكِ وصاغوهُ من نور الثغور الضواحكِ
فأمسى كمرآة السماء على الدجى وانجمها في شعرهِ "كالمشابكِ"
وأصبح يحكي اعين الروض نضرةً وفيها الندى مثل الدموع السوافكِ
ومنذ طوَوْا فيهِ شبابكِ لم يزل تلوح عليهِ مسحة من شبابكِ
بناهُ لكِ الباني فلم يلبث الهوى ان اقتادهُ حتى ثوى في جواركِ
سليهِ أهذا قلبهُ صار مدفناً وقبركِ في السوداء ام غير ذلكِ
وتلك لآلٍ ام امانيُّ نفسهِ وذاك ظلام ام هموم الممالكِ
سليهِ فلو هشَّت عظامكِ نحوهُ لردت اليهِ روحهُ من سؤالكِ
وضعتِ بيمناهُ فؤادًا فلم يجد سوى ملكهِ من حلية لشمالكِ
ونُزّهتِ عن شرْك المحاسن فاغتدى لاجلك في الاحسان غير مشاركِ
فلا ما بنى كسرى ولا قصر جعفر ولا قصر غمدانٍ ولا للبرامكِ (١)
كأني ارى افقاً تجلَّت نجومهُ كانك فيهِ بعض تلك الملائكِ

---

(١) ما بناهُ كسرى هو الايوان المشهور وجعفر هو الخليفة المتوكل وكان قد تأنق في بناء قصر سماهُ الجعفري وللبحتري اشعار في وصفهِ وغمدان بالضم قصر باليمن قال المجد : بناهُ يشرخ بار بعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخلهُ قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعًا والبرامك هم البرامكة المشهورون

كأَن قلوبًا في جمالكِ احرقت فذوَّبها الصيَّاغ بين السبائكِ
كأَن اللآلي المشبهات أَزاهرًا فرائدها بعض الدموع الشوابكِ
كأَن ظلام القبر في لمعانها شعور الغواني بين حال وحالكِ
كأَن سناكِ في دياجيهِ نيةٌ تردد في قلب طهور مباركِ
كأني أَرى تلك المآذن ايديًا تشير الى الأَفلاك أَنكِ هنالكِ
بدائعُ نالت من يراعي ولم يكن يراع يباريهِ بهذي المسالكِ
أَفضنَ على قلبي الجلالة والتقى فاصبحت منها بين ناس وناسكِ
وان بناني للفؤاد سنابك فأطلق جوادي ينطلقْ بالسنابكِ

طنطا مصطفى صادق الرافعي

الدرجة والميل

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قلتم في مقتطفكم الزاهر في الجزء الخامس من هذه السنة في باب المسائل ان طول الدرجة الارضية ٦٦ ميلاً مع ان المشهور ان الدرجة ٦٠ ميلاً فقط وربما استعملتم الميل العادي الانكليزي الذي طولهُ ١٧٠٠ يرد فهو اولاً لا ينطبق على الدرجة تمامًا وثانيًا يوجد انواع كثيرة من الميل ولكل دولة قياس مخصوص بالميل فاي نوع منها عنيتم وثالثًا انهُ يوجد ميل لقياس واحد مخصوص عند كل علماء الارض وهو الميل الجغرافي اي واحد من ستين من الدرجة الارضية وانتم الآن تتكلمون عن الدرجة الارضية فكيف استعملتم غيرهُ دون تعيينهِ والميل الجغرافي واحد عند الجميع بيروت احد المشتركين

[المقتطف] لقد اصبتم في قولكم انهُ توجد انواع مختلفة من الميل ولكل دولة قياس مخصوص ولكنكم اخطأتم في ان الميل الجغرافي واحد عند الجميع فان الميل الجغرافي عند الالمانيين $\frac{1}{15}$ من الدرجة فهو اربعة اميال من الاميال الجغرافية الانكليزية . واذا كان طول الدرجة ستين ميلاً عند خط الاستواء فلا يكون طولها كذلك في عرض مصر . واذا اعدتم نظركم على الجواب الذي تشيرون اليهِ وجدتم اننا لم نقصد هناك تحقيق طول الميل بل الارشاد الى الطريقة التي جرى عليها القدماء لقياس الارض . وحيث ان القدماء الذين قاسوا محيط الارض قالوا ان طول الدرجة بين الاسكندرية واصوان ٦٦ ميلاً (وقد ارادوا بذلك الميل الروماني وهو ٥٠٠٠ قدم رومانية او نحو ٤٨٥٠ قدمًا انكليزية) فجاريناهم في

ذلك لاظهار الطريقة التي جروا عليها في قياس محيط الارض . ومعلوم انهم لم يدققوا في قياس الدرجة ولا في قياس الارض ولذلك قلنا انهم استطاعوا ان يعرفوا محيط الارض بالتقريب من قياس مثل هذا . اما لو كان المراد الكلام على الميل الجغرافي او البحري لقلنا ان الدرجة على خط الاستواء ستون ميلاً ولكن هذا الميل يكون اطول من الميل الروماني الذي كان مستعملاً عند الاقدمين بنحو ١٢٠٠ قدم

اصلاح وهم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

نشرتم قصيدة بليغة للشاعر الفاضل نقولا افندي رزق الله قال فيها ان الملكة دراجا كانت خادماً وانهُ نما في البلاد حزب انوف لم يشأ ان يسوّد الخدماء . واني اضن بالمقتطف ان يثبت قضية تاريخية على غير وجهها فاولاً ان مدام دراجا مشين التي اقترن بها ملك السرب لم تكن خادماً بل كانت عند امهِ وهي ملكة السرب كما كان اكبر الموظفين عند ابيهِ لما كان ملك السرب . والمنصب الذي كانت فيهِ لا تترفع عليهِ ابنة اكبر قائد او اكبر وزير عند ملكة بلادها . ونسب الملك اسكندر ليس ارفع من نسب الملكة دراجا . وثانياً ان الحزب الذي اغتالها لم ينقم عليها لان نسبها احط من نسب زوجها بل لاغراض سياسيَّة اشار اليها المقتطف

مصر احد القراء

باب الزراعة

غلة القمح ومستقبلهُ

لما وقف السر وليم كروكس خطيباً في مجمع العلوم البريطاني منذ خمس سنوات اشار الى ان عدد الذين يأكلون القمح يزيد سنة بعد سنة زيادة بالغة ولكن مساحة الاراضي التي تزرع قمحاً الآن والتي يمكن ان تزرع في المستقبل لا تزيد على هذه النسبة فلا بدَّ من ان يقلَّ القمح في المستقبل القريب عن حاجة الناس فيغلو ثمنهُ جدًّا او تستعمل واسطة لزيادة غلتهِ وقال ان هذه الواسطة معروفة وهي تسميد الارض بسماد نيتروجي واشار بطريقة كيماوية اكتشفها لعمل هذا السماد وقد اخذت الدلائل تدلُّ على تحقيق ما انبأ بهِ ولو لم يكن بالسرعة التي ذكرها فغلا ثمن

الحبوب رويداً رويداً ولاسيما القمح ويخشى الآن ان لا تكفي غلة هذا العام الناس الذين يعتمدون على القمح في طعامهم فقد كان متوسط غلة القمح في اوربا كلها سنة ١٨٩٨و١٨٩٩ و١٩٠٠ و١٩٠١ نحو ١٦٣ مليون كوارتر او نحو ٢٨٨ مليون اردب لان الكوارتر نحو اردب ونصف . وكانت غلة العام الماضي ٢١٣ مليون كوارتر وهي تفوق المعتاد وتفوق متوسط السنوات الاربع السابقة ومع ذلك لم تهبط الاسعار كثيراً ولا زاد القمح في الاسواق والمخازن بل كان في اول اغسطس هذا العام اقل مما كان في اول اغسطس في العام الماضي بنحو خمسين الف كوارتر كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩٠٣		١٩٠٢	
المشحون لاوربا	٣٠٦٥٠٠٠	كوارتر	٢٩٤٥٠٠٠	كوارتر
المخزون فيها	٢٩١٥٠٠٠	"	٢٣١٠٠٠٠	"
المنتظر من اميركا	٢٩٠٠٠٠٠	"	٤٢٢٥٠٠٠	"
" من الارجنتين	٠٢٥٠٠٠٠	"	٠١٦٠٠٠٠	"
والجملة	٩١٣٠٠٠٠	"	٩٦٤٠٠٠٠	"

وقد بلغت غلة القمح في الدنيا كلها في العام الماضي ٣٧٥ مليون كوارتر ولا ينتظر ان تبلغ ذلك هذا العام ومن المؤكد انها لا تفوقهُ فاذا بلغتهُ وكان الموجود من الحنطة الآن في مخازن اوربا والمشحون اليها على الطريق والمنتظر ان يرد اليها من اميركا كل ذلك ينقص ٥٠٠٠٠٠ كوارتر عما كان في الصيف الماضي فكيف يكون حال اوربا في العام المقبل وقد قلّت المتأخرات وزد السكان . وقد قدَّر بعضهم ان الممالك السبع الكبيرة في اوربا تحتاج في السنة الى ١٩٥ مليون كوارتر هكذا

بريطانيا	٣٠٠٠٠٠٠٠	كوارتر
فرنسا	٤٣٠٠٠٠٠٠	"
ايطاليا	٢١٠٠٠٠٠٠	"
النمسا والمجر	٢٢٠٠٠٠٠٠	"
روسيا	٤٢٠٠٠٠٠٠	"
المانيا	٢٢٠٠٠٠٠٠	"
اسبانيا	١٥٠٠٠٠٠٠	"
والجملة	١٩٥٠٠٠٠٠٠	

او نحو ٢٩٢ مليون اردب فاذا اضفنا الى ذلك الممالك الصغيرة كبلجكا وهولندا نقصت غلّة اوربا عن احتياج اهلها نحو ٢٤ مليون كوارتر او ٣٦ مليون اردب او نحو ثلاثة اضعاف غلة القطر المصري من القمح وسائر الحبوب وجب ان تجلبها من اسيا واميركا واستراليا

ويقول الناظرون الى المستقبل بعين الرضى والاطمئنان انهُ اذا غلا القمح وجد الناس حقولاً جديدة لزرعهِ فيها في سهول اميركا ورحاب السودان وفاتهم انهُ اذا وجدت الارض الصالحة لزرع القمح لا توجد ادوات الزراعة وسائر معداتها سريعاً ولا وسائل النقل الرخيص فالاماكن التي تجود فيها الحنطة وهي قريبة من مراكز العمران واسباب الزراعة ميسورة فيها لا يترك منها الآن شبر من غير زرع واما الاماكن القاصية فاذا عمرت حتى كثر الفلاحون فيها وكثرت وسائل النقل ورخصت فالقمح الذي يزرعهُ سكانها يأكلونهُ وما يزيد عنهم لايكون كثيرًا يفي بحاجة البلدان القديمة . وزد على ذلك ان الاجور في البلاد الجديدة تكون اغلى من الاجور في البلدان القديمة والاَّ ما اهتمَّ الناس بالمهاجرة اليها ولا يوافقهم زرع الكثير من القمح لتصديرهِ الاَّ اذا كان غالياً جدًّا فاذا رخص لم يعودوا يكثرون من زرعهِ

وكيفما قلبنا نظرنا في هذا الامر نرى مستقبل القمح مكفول في هذا القطر اذا اعتني بزرعهِ وانتقاء تقاويهِ الاعتناء الواجب فان الفدان الذي يجود قمحهُ لا تقل غلتهُ عن ثمانية ارادب الى عشرة ويبلغ تبنها ١٦ حملاً الى ٢٠ فيبلغ ايراد الفدان المزروع قمحاً على حسب اسعار القمح والتبن الحاضرة نحو ١٦ جنيهاً ويمكن زرع القمح في مليوني فدان كل سنة في هذا القطر فيبلغ ايرادها منهُ نحو ثلاثين مليون جنيه اي نحو مضاعف ايراد القطن . وهب ان سعر التبن هبط فبلغ ثمن الحمل نصف ما هو الآن يبقى ايراد زراعة القمح نحو ٢٤ مليون جنيه في السنة هذا اذا اعتني الاعتناء الواجب بالزرع وانتقاء التقاوي . واذا زاد المحصول عن مقطوعية البلاد فلا خوف من كساد سوق القمح في اوربا الاَّ اذا اخطأَت كل التقادير التي يعوَّل عليها

الفول السوداني

زراعتهُ وتحقيقات مفيدة فيهِ من مقالة للعالم وليم فريزن في مجلة الزراعة في الهند الغربية وقد اضفنا اليها عبارات وضعناها بين قوسين اتماماً للفائدة

زراعتهُ

الارض — تجود زراعة الفول السوداني في الاراضي الخفيفة المحروثة جيداً ولا بدَّ من ان يكون فيها شيءٌ من الجير . واذا كان لون الارض فاتحاً اي ضارباً الى البياض كان لون

الفول ضاربًا الى البياض ايضًا · وهذا يفضل على غيرهِ في التصدير وثمنهُ اغلى من ثمن الفول الاسمر الذي يزرع في الارض السوداء او الشديدة السمرة

إعداد الارض — تحرث الارض وتنعَّم جيدًا الى عمق نصف قدم قبل فصل المطر وتسمد بالسباخ البلدي إما قبل زرع الفول السوداني فيها او في زمن الزراعة التي تسبق زراعتهُ

زمن الزرع — قبل دخول فصل الشتاء لان الفول السوداني لا ينبت ما لم تكن الارض رطبة

الزرع — يقشَّر الفول ويزرع في خطوط البعد بينها من قدم الى ثلاث ويجعل عمقها ثلاث عقد تحت الارض . وبعض الزارعين يبلُّ الفول نحو ساعتين قبل زرعهِ . وتداس الارض فوق البزر ثم يوضع عليها قليل من التراب المحلول . (ولا يقشر في القطر المصري ولا يبل الاَّ اذا كانت الارض جافة)

الاعتناء بعد الزرع — لا يحتاج الفول السوداني الى عناية خصوصية غير طرد الطيور عنهُ لئلاَّ تأكلهُ حالما ينبت واستئصال الاعشاب التي تنبت بينهُ

زمن البلوغ — يبلغ الفول السوداني في جزائر الهند الغربية في اربعة اشهر الى ستة . وبعض الانواع الاميركية تبلغ في ثلاثة اشهر

الجمع — يجمع الفول السوداني بقلعهِ من الارض وينقى الفول منهُ باليد . وهذه الطريقة متعبة ولكنها تسهل اذا اعتمد على نوع من النبات يحمل فولهُ كلهُ في مكان واحد تحت اصلهِ

مقدار الغلة — مقدار غلة الفدان في جزائر بربادوز عشرون قنطارًا مصريًّا وقد يبلغ اربعين قنطارًا · ومقدار الغلة في الولايات المتحدة الاميركية من عشرة قناطير الى عشرين قنطارًا ومقدار الغلة في السنيغال حيث يعتمد على الحرث بالمحراث من ٢٧ قنطارًا الى ٦١ قنطارًا (وتبلغ الغلة في القطر المصري عشرين اردبًّا)

اكلاف الزرع —

الحرث	٢٥ غرشًا
العزيق	١٠ غروش
الزرع باليد	٢٠ غرشًا
التعشيب	١٧ «
الجمع	٧٥ «
	١٤٧ «

فاذا كانت الغلة ثلاثين قنطارًا وبيع القنطار منها بثلاثين غرشًا بلغت غلة الفدان تسعة

جنيهات تدفع منها اجرة الارض واكلاف الزرع فيبقى ربح كافٍ عدا ثمن اوراق النبات التي تؤكل علفاً

استعمالهُ

يؤكل الفول السوداني محمصاً ويستعمل لصنع الحلويات ويعصر الزيت الطيب منهُ فان زيتهُ كثير يبلغ ٣٠ الى ٥٠ في المئة من وزنهِ . وطعمهُ طيب ورائحتهُ حسنة وهو كثير الشبه بزيت الزيتون وزيت القطن . والانواع الجيدة منهُ المستخرجة على البارد تستعمل للطبخ ويعسر تمييزها عن زيت الزيتون والانواع الدنيا تستعمل لطبخ الصابون ولتزييت الآلات . وقد ورد الى مرسيليا ١٠٤٥٤٢ طنًّا من الفول السوداني سنة ١٩٠٠ واكثرها لطبخ الصابون ولاستخراج الزيت الطيب واكثرها من الاملاك الفرنسوية والانكليزية في غربي افريقية وقليل منها من الهند ويستعمل هذا الزيت للاضاءة ايضاً لكن نورهُ غير ساطع

وكسب الفول السوداني بعد عصر الزيت منهُ غنيٌّ بالمواد الهيدروكربونية والنيتروجينية وفيهِ كثير من الدهن وهو يحتوي على ٥٢ في المئة من المواد المكونة للحم (البروتيين) و٨ في المئة من الدهن و٢٧ في المئة من الكربوهيدرات فهو من اقوى انواع الغذاء المعروفة يشبه كسب بزر القطن وكسب بزر الكتان او يفوقهما غذاء

وجرِّبت التجارب في بلاد الانكليز لمعرفة فائدة كسب الفول السوداني علفاً للمواشي فوجد انهُ مثل الفول تماماً وجرَّبهُ الدكتور روبرتصن في بلاد الهند علفاً للخيل والبقر والخنازير الخ فكان يطعم الثور الشغَّال اربعة ارطال من الكسب مع الدريس فتحفظ صحتهُ وقوتهُ . اما اذا اريد تسمين المواشي فلا علف اجود منهُ لذلك ويأتي لحمها جيداً جداً وكذلك لا اجود منهُ للبقر الحلاَّبة فانهُ يزيد لبنها ويجيدهُ فيمزج ستة ارطال منهُ برطلين او ثلاثة من الرضَّة (النخالة) ويجبل مزيجهما بالماء . وقد علف البقر بهذا العلَف سنوات عديدة فبقيت على تمام الصحَّة وبقي لبنها غزيرًا . وهذا الكسب جيد للغنم ايضاً وهو اجود علف لها وكان يطعمها اياهُ مدقوقاً جافاً

وورق نبات الفول السوداني علف جيد للمواشي واهالي الولايات المتحدة يحسبونهُ نافعاً جداً لها ولاسيما اذا بقي معهُ شيء من البزر . وقشر الفول السوداني يغذي ايضاً اكثر من قشر بزر القطن

وثمن الطن من الفول السوداني في بلاد الانكليز من تسعة جنيهات الى ١٧ جنيهاً حسب نظافتهِ وجودتهِ وحسن انتقائهِ وجفافهِ وبياض لونهِ . ويسهل قصرهُ حتى يبيضَّ لونهُ هكذا وهي

مثل طريقة الاستاذ هلفارد المستعملة في كليفورنيا يذاب ٦ ارطال من مسحوق القصارين و١٢ رطلاً من كربونات الصودا في ٥٠ جالوناً من الماء ويوضع الفول السوداني في هذا السائل خمس دقائق ثم ينزع منهُ ويغسل جيداً ويوضع في مغطس آخر فيهِ ٦ اواقي من الحامض الكبريتوس في جالونين من الماء وتترك فيهِ خمس دقائق ثم تنزع منهُ وتغسل جيداً وتفرش في الشمس حتى تجف ويتم قصرها في ربع ساعة فيزهو لونها وتنظف ولا يتغير طعمها ولا رائحتها واذا زرعت تنبت مثل غيرها دلالة على ان المواد الكيماوية لم تؤثر في لبها بل اثرت في القشر فقط

وسيأتي الكلام على كيفية زرع الفول السوداني في هذا القطر

زرع الاناناس

وصف بعضهم كيفية زرع الاناناس في البلاد التي يكثر زرعهُ فيها وهو نفسهُ من الذين يكثرون من زرعهِ فبنينا على كلامهِ السطور التالية

اهم ما يحتاج اليهِ الاناناس لخصبهِ ان تكون الارض خفيفة محلولة جافَّة وهو يجود فيها ولو كانت افقر من ان يجود فيها نبات آخر سواهُ بشرط ان يعتنى بها وتسمد جيداً واهم شرط لصلاحية الارض ان تكون خفيفة محلولة مثل الاراضي الرملية الجبليَّة في هذا القطر لكي يسهل على جذيرات الفسائل ان تسري فيها

ولا بدَّ من ان تنقَّى الارض من كل ما فيها من الجذور وتحرث وينعَّم ترابها جيدًا وان تكون مصارفها مستوفاة حتى لا تبقى فيها اقل رطوبة لان نبات الاناناس لا يحتمل الرطوبة ولذلك تحفر فيها المصارف الضيقة قريبة بعضها من بعض حتى لا يكون بين المصرف والمصرف اكثر من عشرين قدمًا الى اربعين وتقطع بين المصارف ترابيع طول التربيعة منها ١٢ قدمًا وعرضها ١٠ اقدام تفصلها مماشٍ عرضها اربع اقدام

ويزرع الاناناس من الفسائل او الجذور التي تفرخ او الفروع او القرم او البزور واجودها الفروع او الفسائل التي تنبت من باطن الورق واكثر الاعتماد عليها فانها تنزع من امها وتزرع. واذا بلغ الاناناس وقطع نبت نبات جديد من جذورهِ مكانهُ فيُعتنى بهِ ويتجدد الزرع منهُ واذا نبت فرخان معًا ينزع احدهما ويزرع في مكان آخر

وبعض انواع الاناناس تفرخ فروخًا من اسفلها كالنخل وهي فسائل ايضًا فتنزع وتزرع لكنها بطيئة النمو. والذين يعتنون بزراعتهم لا يتركون هذه الفروخ حتى تكبر بل ينزعونها ويطرحونها حالما تظهر. اما القرمة فهي حزمة الاوراق التي تكون في اعلى ثمر الاناناس وهي تترك على الثمر في مزارع الاناناس لا تنزع منهُ لتزرع الاَّ اذا فسد الثمر او اكلتهُ الجرذان. ويحسن الاعتماد عليها في هذا القطر للابتداء بزرع الاناناس فيهِ ولو كان نموها بطيئًا

والبزور قليلة في الاناناس لا تتولَّد الاَّ في بعض انواعهِ

كيفية زرعهِ — تعدُّ الارض جيدًا ويؤْتى بالفسائل او الجذور المفرخة ويجب ان يكون طولها قدمًا او اكثر وان تختار من نبات جيد يحمل ثمرًا وتزرع ويجعل البعد بينها قدمين ويضغط التراب حولها ولا بدَّ من قص الاوراق السفلى من الفسيلة وبري الطرف المكسور بسكين ماضية حتى تندمل سريعًا

الاعتناء بهِ — يستدعي الاناناس عناية كثيرة لان الاعشاب تخنقهُ وتميتهُ ولا يستطيع مغالبتها كانهُ من اولاد الكبراء. واذا كانت الارض فقيرة يضاف اليها سماد جيد من البوتاس ومسحوق العظام او ما يماثل ذلك واما اذا كانت جيدة فلا داعي لتسميدها بل قد يضرُّ السماد بها فقد قال الكاتب ان ارض جمايكا لا تحتاج الى سماد بل يضرُّ السماد بها ولكن يبعد ان يبقى خصبها على درجة واحدة اذا تكرَّرت زراعة الاناناس فيها سنة بعد سنة

القطاف — يقطف الاناناس حينما يتم نموهُ ويبلغ حدَّهُ ولا يقطف قبل ذلك والاَّ فسد قبلما ينضج واذا نضج لم يكن طيب الطعم. ويترك مع الثمر قدر عقدة من الاصل ويعلق بها ٢٤ ساعة او اكثر حتى يجف ويصير مُعدًّا للتصدير. وحينما يصدَّر الثمر يلف بشيءٍ حتى لا

بترضض والغالب ان يلف بالتبن او القش و يرد كذلك الى هذا القطر من جهات الهند

الزراعة والميكروبات

من مقالة في مجلة العلم العام للدكتور شنيدر من اساتذة مدرسة كليفورنيا الجامعة

زُرعت الارض منذ الوف من السنين وحاول ارباب الزراعة من اول عهدهم ان يستغلوا منها اكثر ما يمكن من الغلة بأقل ما يمكن من التعب لكن لم يجرِ ذلك على طريقة علمية الاَّ منذ عهد قريب · والآن قد استعملت الاساليب العلمية التي تزيد خصب الارض وتجيد ما يستغل منها وما يرتبط بهِ من تربية الاشجار والمواشي وما اشبه ويظهر انهُ سيكون لعلم الميكروبات شأن كبير في ذلك

ومن بعض الميكروبات فائدة كبيرة للزراعة ومن بعضها ضرر كبير وسيكون الشغل الاكبر لارباب الزراعة استخدام الميكروبات النافعة واستئصال الميكروبات الضارة · ومن اهم هذه الميكروبات مايوجد منها في جذور القطاني كالفول والعدس ولست اخوض في تاريخ اكتشافها وفعلها في النبات الذي توجد فيهِ بل اقتصر على ذكر ما فعلهُ البعض للانتفاع بهذه الاحياء وما يمكن ان تؤدي اليهِ في المستقبل

فقد ثبت بالامتحان ان هذه الميكروبات تستطيع اخذ النيتروجين من الهواء وتمثيلهُ للنبات حتى يغتذي بهِ ولولا ذلك ما استطاع ان يأخذهُ من الهواء مباشرة وبعضها يعيش في جسم النبات نفسهِ كميكروب القطاني (ريزوبيا) الذي يعيش في عقد جذور الفول وهو يأخذ النيتروجين و يصنع منهُ مركبات يسهل على النبات الاغتذاء بها فكأنهُ يقيم في جذورهِ لاجل تغذيتهِ . وبعضها يعيش في التراب الذي حول جذور النبات كالذرة والقمح ويركب المركبات من النيتروجين و يبثها في الارض حول الجذور لتغتذي منها

لما ثبت ذلك جعل علماء الزراعة يجربون التجارب الكثيرة لاضافة الميكروبات النافعة الى التقاوي او لتطعيم الارض بها فتكللت بعض تجاربهم بالنجاح وسمي الطعم الذي تطعَّم بهِ الارض ليكثر فيها الميكروب الذي تستفيد منهُ القطاني بالنيتراجين الاَّ ان الذين امتحنوهُ لم يجمعوا على فائدتهِ دائماً وبعضهم يقول انهُ يفيد كثيرًا في الارض البكر التي لم تزرع قبلاً واما في الاراضي الزراعية الجيدة ففائدتهُ قليلة · والظاهر انهُ ثبت الآن ان الارض التي زرعت فيها المزروعات القرنية كالفول واللوبياء والبرسيم يكون فيها ما يكفيها من ميكروبها فلا يزيد خصبها باضافة النيتراجين اليها واما الارض التي لم تزرع فيها هذه المزروعات

فالمرجح انها تستفيد كثيراً من اضافة النيتراجين اليها. ثم انهُ اكتشف ميكروب ينمو حول جذور النباتات ذوات الحبوب كالذرة والقمح ويأخذ النيتروجين من الهواء ويركب منهُ مركبات يسهل على جذور النبات الاغتذاء بها ولا يزال العلماء يمتحنون فعل الميكروبات في خصب المزروعات

اصلاح الجنائن

اهدى الينا احد الفضلاء بالامس قفصاً من الفاكهة فيهِ عنب اسود كبير الثمر مستديرهُ رقيق القشر صغير العجم كلهُ ربٌّ وسكرٌ ما عهدنا عنباً مثلهُ في هذا القطر . وفيهِ ايضاً اربعة اشكال من المنجو الاول كبير الثمر جداً يبلغ طول الثمرة منهُ ١٢ سنتمتراً وعرضها تسعة والثاني صغير الثمر جداً طول الثمرة منهُ نحو سبعة سنتمترات وعرضها نحو خمسة والثالث متوسط بينهما والرابع طويل اعقف من طرفيهِ الى جهتين متخالفتين كعلامة المدة التي توضع فوق الالف وهو طويل كالاول لكنهُ دقيق لا يزيد عرضهُ على خمسة سنتمترات او ستة. والظاهر ان زراعة المنجو اتسعت جداً فقد رأيناهُ يباع في اكثر المحطات من العاصمة الى دمياط

ومن انواع الفاكهة التي انتشرت زراعتها وجاد نوعها الخوخ (الدراقن) فقد رأينا منهُ نوعاً كبير الثمر خالياً جلدهُ من الزغب لا يكاد يفرق عن الخوخ الجيد الذي ينبت في سواحل الشام

واعتنى البعض بجلب اشكال التين الشامي وزرعها من الابيض والاحمر والاسود فجادت كلها وذقنا ثمرها فوجدناهُ على لذتهِ المعهودة في بلاد الشام

واعتنى كثيرون بزرع البطيخ من تقاوي البطيخ اليافاوي فجاء البطيخ عندهم جميل المنظر طيب الطعم يقارب البطيخ اليافاوي في اكثر خواصهِ

وكثر زرع الشليك (الفرولة) حتى رخص ثمنهُ جداً وصار ربَّات البيوت يشترينهُ بمقادير كبيرة لعمل المربَّى

اضف الى ذلك ما بُذل عن العناية في انواع اصلاح البرتقال واليوسف افندي والموز والشمام تجد ان الفاكهة قد كثرت انواعها وجادت جداً بالنسبة الى ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات

لكن من يمعن نظرهُ في الجنائن في هذا القطر والقطر الشامي يجد ان اصحابها لم يهتدوا بعد الى الطريقة التي تكثر بها الاثمار وتجود وتزيد غلَّة الارض ولو كانت ضيقة وذلك بتصغير الاشجار وتكثير ثمرها فان احد نابغي الانكليز انتبه وهو ولد صغير الى ان الاشجار التي تقلع لتباع ثم يرفض المشترون ابتياعها لصغرها فتردُّ الى البستان وتقلع في وقت آخر لتباع فلا يشتريها

المثنرون لصغرها ايضاً — هذه الاشجار يكثر ثمرها ويصير اطيب من غيرهِ ولو بقي جرم الشجرة صغيراً فخطر لهُ ان قلع الاشجار وزرعها مرةً كل سنة او سنتين يسقم بدنها ولكنهُ يجيد ثمرها فجرَّب ذلك فوجد ان استنتاجهُ صحيح فجعل يعامل اشجار جنائنهِ على هذه الطريقة يقتلعها من مكانها ويزرعها في مكان آخر مرةً كل سنتين فتبقى جدورها قرب سطح الارض ولا تكبر بل تبقى كالانجم . وقد سهل عليهِ ان يزرع في الفدان الواحد خمس مئة شجرة من شجر التفاح وبقي بينها فسحة تسع سبع مئة شجرة من اشجار اخرى من نوع آخر وكان يحرثها حرثاً عادياً وينزع الاعشاب من تحتها حتى تبقى ارضها نظيفة دائماً ويقضب الاغصان حتى تبقى قصيرة وتبقى شكل الاشجار هرمياً او منبسطاً فصار يجني من الفدان مضاعف ما يجنيهِ منهُ لو كانت اشجارهُ كبيرة . فعسى ان ينتبه اصحاب الجنائن الى ذلك ويجربوهُ فان فائدتهُ محققة

الخضر في غير اوانها

خذ الباميا او اللوبياء او الخرشوف وما شاكلها وضعها في اناء فيهِ ماء سخن قارب الغليان وضع فيهِ قليلاً من ملح الطعام حتى يملح الماء قليلاً وسد الاناء سدًّا محكماً حتى اذا جاء الفصل الذي لا ينبت فيهِ ذلك الصنف فتحت الاناء وطبخت خضرة قلما تفرق عنها في اوانها

بابُ تدبيرِ المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الحميات

الحمَّى التيفويدية

تمريض المصابين بالحمى الملارية امرٌ سهل جدًّا اذا روعيت قوانين الهيجين وقوانين التمريض الاعتيادية ولكن تمريض المصابين بالحمى التيفويدية ليس بالامر السهل . والواقع ان حياة المريض بالتيفويد تتوقف على حسن العناية بالتمريض اكثر منهُ في سائر الامراض حتى ذات الرئة ما عدا الدفثيريا

واذا كانت الاصابة خفيفة استمرت الحمى ٣ اسابيع عادة ولكنها قد تستمر ٦ اسابيع الى ٣ اشهر والطبيب والدواء يعجزان عن شفاء المرض او توقيفهِ ولكن الاعتناء وحسن التمريض يحفظان حياتهُ والاهمال ومخالفة اوامر الطبيب قد تكون نتيجتهما ازدياد الخطر لان النكس سهل جدًّا في هذا المرض وكذلك تولد المضاعفات (الاختلاطات) . ثم ان في طاقة الممرضة ان تريح المريض وتساعدهُ على نيل الشفاء العاجل

اذا سار المرء في سفينة قاصدًا بلادًا بعيدة وتيسَّر لهُ ان ينام في غرفة نظيفة مطلقة الهواء ويأكل طعامًا طيبًا مغذيًا وصل الى المكان الذي يقصدهُ مستريحًا اكثر مما لو نام في غرفة قذرة فاسدة الهواء واكل طعامًا خبيثًا منتنًا. والقلق في اثناء الطريق ومخاصمة القبطان والبحّارة لا يقصران مسافة السفر ساعة واحدة فالراحة اولى من القلق والتعب اللذين لا يجديان نفعًا

وهذا شأن المصاب بالتيفويد فانهُ اذا اعتني بهِ الاعتناء الواجب فالمرجح انهُ يبلغ الشفاء مستريحًا بالنسبة الى من لا يعتنى بهِ ولو لم تقصر مدة المرض

وتحدث التغيرات في التيفويد كل سبعة ايام ولذلك لا داعي للاكثار من الادوية وإقلاق الطبيب لانهُ لا يقدر ان يقصر الميعاد يومًا واحدًا . وكما يحدث في سفر البحر انواء وعواصف او يقع خلل في الآلة البخارية التي تسيربها السفينة كذلك يقع احيانًا في هذا المرض فتتولد مضاعفات (اختلاطات) كثيرة وسأتكلم عنها قريبًا

واقول الآن ان مركز الضرر في التيفويد هو في الامعاء هناك سم المرض وهناك التقرُّح الذي يسبب الحمَّى . فيجب ان تعلم الممرضة ان السم يكون في مبرزات المريض فتكون العدوى فيها واذا لم ينتبه لذلك فقد تنتقل العدوى الى سائر اهل البيت

اذا ظهرت التيفويد في بيت وجب ان يلتفت الى شيئين مصارف البيت والماء الذي يشرب منهُ سكانهُ لان كثيرين ينفقون الاموال الطائلة على زخرفة بيوتهم وتزيينها ووضع الاثاث الفاخر فيها ولكنهم يهملون الامر الاهم وهو مصارفها اما لجهلهم او لقلة اعتنائهم

ولا بدَّ من الالتفات الى الامور الآتية في تمريض المصاب بالتيفويد وهي

ان يكون الاثاث في غرفتهِ على اقلهِ

ان يكون الهواء النقي فيها على اكثرهِ

ان يبقى جسم المريض نظيفًا دائمًا

ان لا يطعم شيئًا غير سائل ما دامت الحمَّى عليهِ

يجب ان لا يجلس في سريرهِ ولو دقيقة واحدة

ان يحترس من جراح الفراش

ان يعتنى ببرزاته

ومركز الضرر في الامعاء كما تقدم لانها تكون متقرحة فاذا اكل طعاماً جامداً ولو كسرة صغيرة من الكعك فيحتمل انها تصل الى قرحة من قروح الامعاء وتكشط الجلد الذي تكوَّن عليها فينتكس العليل . ويحتمل ايضاً انها تشق القرحة فتنثقب الامعاء في مكانها ويموت العليل حالاً . وتنثقب الامعاء ايضاً من جلوس العليل في فراشهِ ومن تقلبهِ ولذلك لا يسمح لهُ بالجلوس ولا بالانقلاب من جهة الى جهة بل يلزم بالنوم على ظهرهِ دائماً وتوضع مخدَّة واطئة تحت رأسهِ

وقد يصاب العليل بالنزف الدموي فيخرج كثيراً من الدم بغتةً واذا لم يوقف هذا النزف فقد يقتلهُ . واذا حدث النزف فلا بدَّ من استدعاء الطبيب حالاً واخبارهِ عمَّا حدث بالتفصيل حتى يأتي مستعداً وحالما يحصل النزف يوضع كيس ثلج على بطن العليل او منشفة كبيرة مبللة بماء الثلج او بابرد ماء يمكن الحصول عليهِ . ويجب ان يبقى العليل هادئاً ويكون الهواء في غرفتهِ مطلقاً. ولا تناولهُ شيئاً من الكنياك Brandy فان الكنياك يعطيهِ الطبيب فقط اذا اشتدَّ النزف لانهُ يزيد عمل القلب فيزيد النزف

ويجب ان يكون الثلج موجوداً مهما اختلفت حالة الحمى التيفويدية . والاطباء يصفون عادة وضع اكياس الثلج على الراس او على البطن وكثيراً ما يصفون للعليل مصَّ الثلج . فيجب غسل الثلج بعد تكسيرهِ قطعاً سواء كان القصد منهُ وضعهُ على بطن العليل او اعطاءهُ لهُ ليمصهُ لان غسلهُ يجعلهُ نظيفاً ويزيل النتوءات والرؤوس الحادة منهُ فلا يزعج العليل

واذا كان المريض يحب شرب المثلوجات فلا تمنعها عنهُ ولكن اياك ان تسقيهُ شراباً سخناً . والسوائل الفاترة خير ما يسقاهُ

وليطعم المريض بالتيفويد بفنجان مخصوص او ملعقة دائماً وهو مستلقٍ على ظهرهِ اذ لا يجوز ان يجلس في فراشهِ ولكن يجوز رفع راسهِ باليدين عند اطعامهِ

الفراش

يجب ان يستلقي المريض على ظهرهِ كما تقدم وان لا يوضع تحت رأسهِ سوى مخدة واحدة وان يكون الفراش مستوياً ليناً على قدر ما يمكن وخير فراش لهُ ما كان من الكاوتشوك مملوءًا ماء وكذلك تكون المخدة من الكاوتشوك وتملأُ ماء اذا امكن الحصول عليهما والاَّ فتوضع كعكة منهُ تحت اليتيهِ

ويجب ان يكون الغطاء خفيفاً جدًّا . واذا كانت درجة الحمى مرتفعة فان ملاءة واحدة تكفي ويجب ان يوضع مشمع فوق الملاءة التي توضع على الفراش ويغطى المشمع بملاءة اخرى قديمة مطوية لتكون ألين. وانزع كلَّ نتوء خشية ان تتكون قروح على ظهر المريض لاسيما وانهُ يهزل يوماً فيوماً وتبرز عظامهُ

الكرسي (اناء البراز)

يجب ان يكون الكرسي الذي يغوط فيهِ مسطحاً وان يكون شكلهُ مستديرًا او على شكل الخف وان يشترك اثنان في وضعهِ ونزعهِ الاَّ اذا كان المريض صغير الجسم خفيفاً وممرضتهُ كبيرة الجسم قوية . واذا لم يكن هناك سوى الممرضة فلتقف عن يمين المريض ولتمسك الكرسي بيدها اليمنى ولتضع يدها اليسرى تحت عجيزة المريض ولترفعهُ برفق ثم تضع الكرسي تحتهُ دون ان ترفع الملاءات . واذا كان المريض ثقيلاً واحتاجت الممرضة الى مساعدة ممرضة اخرى فلتقف مقابلها ولتضع يدها تحت يدها وتساعدها على رفع المريض

ويصب في الكرسي قليل من سائل كندي قبل وضعهِ تحت المريض لانهُ يزيل كل رائحة منهُ ولو لم يقتل جراثيم الحمَّى . واما جراثيم الحمَّى فتقتل بمحلول ثقيل من الحامض الكربوليك . وينظف العليل بعد استعمالهِ الكرسي ويدهن بالبودرا ولا ينظف بالورق بل بخرق قديمة ناعمة منقوعة في محلول السليماني

ملاءات المريض

يجب ان توضع ملاءات سرير المريض وحدها وتغسل وحدها . واذا غاب المريض عن وعيهِ وغاط في فراشهِ وتلطخت ملاءتهُ ببرزاتهِ فانزعها حالاً وانقعها في محلول الحامض الكربوليك ودع الغسَّالة تغليها جيداً ولاسيما اذا نقه المريض واريد استعمال هذه الملاءات ثانيةً . ولا بدَّ من غسل السرير ايضاً بالحامض الكربوليك ويوضع الفراش في الشمس والهواء اياماً عديدة ويمسح المشمع بفرشاة وحامض كربوليك ويحسن ان يعطى لفقير مريض بالتيفويد فيفيدهُ ولا يضرهُ

غسل المصاب بالتيفويد

لا بدَّ من غسل اجسام المصابين بالتيفويد دواماً والاَّ انتنت ابدانهم ولا بدَّ ايضاً من غسل افواههم والاَّ بخرت وتقرحت شفاههم والسنتهم وحلوقهم وربما اصيبوا بذات الرئة من جراء ذلك . وهنا تظهر فائدة التمريض في منع المضاعفات

ولا يحسن بالمريض ان يلبس غير قميص النوم . واذا غاب عن الوعي فالبسهُ قمصاناً قديمة

يمكن شقها من ظهرها حتى لا ينام عليها بل تكون بمثابة غطاء لهُ فلا تتسخ ولا تدعو الحال الى كثرة تغيير القمصان وحينما يراد نزع القمص عنهُ تنزع منهُ اليد الواحدة اولاً ثم الثانية ثم تنزع من فوق رأسهِ واذا اريد الباسهُ القميص تدخل فيهِ يداهُ معاً ثم يدخل رأسهُ في بنيقتهِ ويبسط على جسمهِ

وحينما ينزع القمص يغطَّى المريض الى عنقهِ وتوضع منشفة تحت ذقنهِ وتقف الممرضة عن يمين سريرهِ وتكون قد وضعت هناك طستاً فيهِ ماءٌ سخن (لان الماء البارد لا ينظف المريض) وضعتهُ على كرسي او طاولة وتأخذ قطعة ناعمة من الفلانلا وترغي الصابون عليها وتغسل وجههُ واذنيهِ ورقبتهُ وتشطفهُ بالماء وتعيد غسل وجههِ وتنشفهُ . ثم تأخذ احدى يديهِ وتضع المنشفة تحتها وتمسحها بالماء وتنشفها وتأخذ يدهُ الاخرى وتغسلها وتنشفها ثم تعريهِ الى وسطهِ وتغسل صدرهُ وبطنهُ بلطف تام وتنشفهُ سريعاً وتضع القميص عليهِ وتمسح احدى ساقيهِ وتنشفها ثم تمسح الاخرى وتنشفها وتقلبهُ بلطف على احد جانبيهِ وتغسل ظهرهُ واليتيهِ وما بين فخذيهِ ثم تفرك ظهرهُ واليتيهِ بالسبيرتو المثبلي وتعيد فرك اليتيهِ بمرهم الزنك او البورق وترش على ظهرهِ مسحوق الزنك منعاً للتقرُّح

وحينما يراد تغيير الملاءة (الشرشف) يقلب المريض الى الجانب البعيد عن الممرضة وتنزع المخدة وتلف الملاءة الوسخة تحتهُ الى الداخل وتوضع الملاءة النظيفة بدلاً منها ثم تدور الى الجانب الآخر من السرير وتقلب المريض الى الجانب الاول على الملاءة النظيفة وتنزع الملاءة الوسخة ثم تسحب الملاءة النظيفة تحتهُ حتى تغطي السرير وتمهدها . واذا اتسخ المشمع او تبلَّل يغسل وينشف قبلما يعاد الى تحت المريض . ولا بدَّ من ابقاء المشمع نظيفاً دائماً والاَّ صار سبباً للعدوى

واذا كان المريض ثقيلاً لا تستطيع ممرضة واحدة ان تقلبهُ من جهة الى جهة فلتستعن على قلبهِ اثنتان فتضع احداهما يداً من يديها تحت كتفيهِ ويداً تحت عجزهِ وتقف الاخرى مقابلها على الجانب الاخر من السرير وتضع يديها تحت يدي الاولى وتعينها على قلبهِ من جهة الى اخرى او على رفعهِ او خفضهِ في سريرهِ

المسح بالاسفنج

يقصد بهذا المسح خفض الحرارة حينما ترتفع جداً ولا خوف من ان يبرد العليل حينئذٍ كما يمكن ان يبرد حينما يغسل فتلقى منشفة على حقويهِ وينزع الغطاء عنهُ ويؤتى باسفنجة كبيرة ناعمة وتغطس في الخل والماء الفاتر ويمسح بها المريض من رأسهِ الى قدميهِ مسحات كبيرة

وليكن المسح لطيفاً فوق بطنهِ لانهُ شديد التأثر وهو مركز الداء ويقلب المريض بلطف على احد جانبيهِ ويمسح ظهرهُ وساقاهُ وابطاهُ بالاسفنجة ويمسح كذلك كفاهُ واخمصا قدميهِ لانها احر اجزاء بدنهِ حينما تكون الحمى عليهِ ويجب ان تكون حركة مسح بدنهِ كلها متجهة من اعلى الى اسفل ومدة مسحهِ بالاسفنج ثلث ساعة ولا ينشف بعد مسحهِ بل يغطى بملاءة ولكن يجب ان لا يمرّ عليهِ مجرى هواء حينئذٍ ويحسن ان تستعلم حرارة المريض بالترمومتر قبل مسحهِ وبعدهُ لكي يعلم كم انخفضت حرارتهُ بواسطة مسحهِ بالاسفنجة

ويوضع المريض احياناً في حمام طويل يسعهُ نائماً فيحمل اليهِ بالملاءة التي يكون نائماً عليها يحملهُ اثنان واحد من عند رأسهِ وواحد من عند قدميهِ ويحترسان من هزهِ او ليهِ ولكن لا بدَّ من حضور الطبيب حينئذٍ ويكون الحمام تحت ارشادهِ وهو يعين حرارة الماء

غسل فم المريض

قلت سابقاً ان لا بدَّ من تنظيف فم المريض منعاً للبخر ولاتصال الالتهاب الى الحلق والرئتين . وهو ينظف هكذا يلف القطن على راس المقراض ويغطس في محلول الغليسرين وماء الورد وينظف بهِ الحلق واللسان والشفتين والاسنان مرتين في النهار . وفي ذلك راحة كبيرة للمريض . ويحسن ان يفعل ذلك لكل المرضى الذين يتعسر عليهم ان يجلسوا وينظفوا افواههم

الشعر

كانت العادة انهُ اذا اصيب احد بالتيفويد امر الاطباءُ بقص شعرهِ او حلقهِ حاسبين ان الشعر يبقي الرأس سخناً والغالب انهُ يسقط من نفسهِ بعد النقه اما الآن فتستعمل كل الوسائل لحفظ الشعر وتبريد الراس باكياس الثلج ومشط الشعر مرتين في اليوم فاذا كان المريض امرأة ضُفر شعرها ضفيرتين على جانبي رأسها لكي لا تنام عليهما . ويسهل مشط شعرها بادارة راسها الى الجهة الواحدة ثم الى الاخرى . ولا شيء ينعش المريض مثل مشط شعرهِ وغسل وجههِ ويديهِ . ومن اكبر الاغلاط ان يترك المرضى بدون غسل لانهُ لا يخشى من اصابتهم بالزكام ما داموا في الفراش . واذا شعروا انهم غير نظيفي الابدان تمللوا من ذلك وقلقوا . وان كان الوسخ يجلب المرض فكم تجب النظافة على مَن نقصد ان ننجيهُ من المرض

وقد طال هذا الفصل لانهُ تجب العناية التامة بتمريض المصابين بالتيفويد وفيهِ امور كثيرة يجب الاعتماد عليها في تمريض المصابين بغيرهِ من الامراض

اما الاختلاطات التي اشرت اليها قبلاً وقلت انها تصيب احياناً المصابين بالتيفويد فهي

الاسهال والنزف من الامعاء والرعاف (نزول الدم من الانف) والتهاب الكليتين والتهاب الرئتين وتخثر الدم

تخثر الدم

ويراد بهِ تخثر الدم في الاوردة ولاسيما اوردة الساقين فان الدم يكون في حالة غير صحيَّة فلا يجري في الادعية كما يجري في حال الصحة ولذلك فقد يتخثَّر اي تتكون فيهِ جلطة واكثر ما يحدث ذلك في حال النقه ولاسيما اذا نهض المريض وجعل يمشي قبلما يتقوى ولكنهُ يشعر بذلك حالاً لانهُ يؤلمهُ فيجب ان يستلقي حالاً وترفع الرجل التي اصابها ذلك وتدفأ بالقناني التي فيها ماء سخن ويستدعى الطبيب فيصف ما يراهُ مناسباً من النطولات او الدهانات

غادة المرآة

تميزت الحقيقة عن محالِ ... وأسفرت الهداية عن ضلالِ
سطا ما كان يخدع عن طلاءٍ ... على ما كان يظهر من جمالِ
لحا الله ابيضاضاً كان يُغري ... بجيدكِ كلَّ أعمى القلب خالِ
وخدًّا لم يحمرهُ صباغٌ ... وعيناً لم تُسوَّدْ باكتحالِ
وصدرًا ثاكلَ الثديَيْنِ لولا ... نديفُ القطن والخِرَقُ البوالي
وحسناً كاذب الوجهين تمشي ... مطالعهُ على قدم الزوالِ
وساعاتٍ وقفتِ بها مليًّا ... الى المرآة وقفة ذي خيالِ
فحيناً تعبسين لغير فكرٍ ... وقد تتبسمينَ لكل حالِ
وكم قالت لكِ المرآة قولاً ... ظفرت بهِ جواباً عن سؤالِ
وكم نظرات صدٍّ واجتنابٍ ... وكم نظرات عطفٍ او دلالِ
ولو كانت نظيركِ كل أنثى ... وكانَ الحسنُ يجلب باحتيالِ
لأثرى كلُّ صبَّاغٍ وأمسى ... غنيًّا مَن يُتاجر بالغوالي
أقلّي من خضاب الشعر جهلاً ... فقد خدعتكِ أبصارُ الرجالِ
وقد يسودُّ أبيضُ كلِّ شيءٍ ... سوى ما ابيضَّ من سود الليالي
خذي عني النصيحة واغنميها ... بلا ثمنٍ فان النصحَ غالِ
ولا يُضلِلْكِ إطراءُ مَضلٍّ ... يجود بهِ كذوبٌ لا يبالي
فقد يبدي سلوًّا وهو صبٌّ ... وقد يشكو غراماً وهو سالِ

أما لو كان ذاك القبح حسناً لما أغناكِ عن حسن الخلالِ
ويقبحُ أن يُذَمَّ قبيحُ وجهٍ اذا ما كانَ محمود الفعالِ
وأفضل ما تصبّي النفس خلقٌ تحلى بالفضيلة والكمالِ
وأمَّا الحبُّ فهو يقيمُ إلاَّ اذا دخل الفسادُ على الخصالِ

القاهرة نقولا رزق الله

[المقتطف] اراد الشاعر بغادة المرآة الفتاة التي تكثر من التصنع والتبرُّج فانكر ذلك عليها كما ينكرهُ كل عاقل لكنهُ عيب محتمل لا يقابل بالخلو من حلية الادب . ولا بأس بانتقاد العيوب فانهُ يمهد السبيل الى هجرها . وحبذا لو اتحفتنا احدى ربات القلم بانتقاد مثل هذا لعيوب الرجال فان الشيخ الهمَّ منهم يتقن الخضاب حتى تظنهُ في عصر الشباب . والشاب المفتون يضيع صحتهُ ومالهُ وراء كل قبيح وجههُ حسن . واذا وازن المنصف بين عيوب النساء وعيوب الرجال قال كما قال احد الظرفاء " الكل في الهوى سواء "

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ حياة اميل زولا

جارى النابغون من اسرائيلي المشرق اخوانهم النابغين من اسرائيلي المغرب في الاثراء ولكنهم لم يجاروهم حتى الآن في دواوين الانشاء . وكنَّا كلما فكَّرنا في اهالهم للانشاء العربي نظن سببهُ وعورة العربيَّة ورغبة الناس عنها في هذا العصر فجاء هذا الكتاب بشيرًا بان الفصاحة ستدين لهم كما دانت للسموأل . والكتاب من الكتب الانتقادية التي يندر وضعها في العربيَّة واندر من ذلك ان تكون من قلم سيدة فقد وضعتهُ السيدة الفاضلة استير موربال وقالت انها اقتطفتهُ من اوثق المصادر فاتت فيهِ ولاسيما في مقدمتهِ والتمهيد الذي وضعتهُ لهُ بما لا يستطيعهُ الاَّ كبار المنشئين وجمعت في فصولهِ من البحث الدقيق والنقد والتحقيق ما لا يستطيعهُ الكاتب الاَّ بعد درس مؤلفات زولا كلها والاطّلاع على اقوال اشهر الكتَّاب فيها

وقد اطنبت حضرة الكاتبة في مدح زولا فقالت انهُ كان رب قلم كالسيف وبيان كالسحر وكتابة هي السيل اذا جرف والبحر اذا طمى والرعد اذا قصف والبرق اذا اخذ بالابصار وابهر.

وانهُ الكاتب النحرير والفيلسوف الخطير والرجل المستقيم الذي لا يبارى والشجاع الكريم الذي لا يجارى وانهُ نابغة زمانهِ واعجوبة اوانهِ . وانهُ كان " عدوًّا لليهود لعدم اختبارهِ اياهم واطلاعهِ على طباعهم ومزاياهم ومواهبهم ولعدم معاشرتهِ لفريق منهم فهو لم يكن يعرف عن اليهود سوى ما ارسختهُ القسس في الاذهان عنهم وتناولتهُ السنة العجايز . . . ولما حصلت قضية دريفوس وعرف ظلامتهُ واكتشف على دخائلها ومخبآتها انقشع الضباب عن عينيهِ فابصر ورأى اليهود باكثر جلاءٍ فاتضح له انهم شعب كغيرهِ من الشعوب لهُ مزايا خصوصيَّة وكمالات ونواقص وانهُ لا يقلُّ عن غيرهِ استحقاقًا ولا ينحطُّ ادبًا ولا يسقط اميالاً وغريزة . . . فاستبدل العداوة بالشفقة والازدراء بشيءٍ من الاحترام "

وبسطت الكلام على كتب زولا وآرائهِ الاجتماعية وترجمت كتابهُ الذي رفعهُ الى رئيس الجمهورية الفرنسوية في شأن قضية دريفوس . وكأنها جعلت قضيَّة دريفوس محورًا يدور عليهِ كتابها . وشدَّدت النكير على خصومهِ وخصوم دريفوس ووصفتهم بكل وصف قبيح كالرياء والخيانة واللؤم والشر والنفاق . واسهبت في الكلام على وفاتهِ ودفنهِ واقوال الجرائد فيهِ مدحًا وقدحًا . ولامت الجرائد العربيَّة لانها لم تهتم بامرهِ حين وفاتهِ ولامت المقتطف خصوصًا لانهُ ذكر وفاة زولا " في باب المسائل واجوبتها كأنهُ خبر لا يستحق الالتفات لولا سؤال بعض السائلين او كأن تاريخ حياة زولا اقل اهميَّة واحط شأنًا من تواريخ بعض ارباب الملايين من الاميركان الذين يصدِّر اعداده احيانًا بسيَرهم وصوَرهم ولا فضل لاولئك العجول الذهبيَّة سوى انهم تمكنوا بصبرهم وجَلَدهم واجتهادهم ومساعدة الظروف لهم ان يستولوا على الملايين العديدة في بلاد لا بدَّ لكل مجتهد فيها ان ينال نصيبهُ من الرزق الواسع والثروة الطائلة باسهل مما يمكنهُ ان ينال بلغة من العيش في البلاد الاخرى "

وعسى ان لا يكون تدقيق حضرة الكاتبة في سائر كتابها مثل تدقيقها في هذه الفقرة فان زولا توفي في التاسع والعشرين من سبتمبر والمقتطف يصدر في غرة اكتوبر فاوقفنا طبع الملزمة الاخيرة منهُ ونشرنا ما يحتملهُ المقام من ترجمتهِ في باب الاخبار وجعلنا منعاهُ تلو منعى فركو اكبر علماء اوربا وقبل كل الاخبار العلمية فذكرناهُ بما قلَّ ودلَّ من الالفاظ وقلنا انهُ من اشهر كتَّاب فرنسا في هذا العصر ان لم يكن اشهرهم كلهم وان رواياتهِ انتشرت في الآفاق كما انتشرت روايات ديماس من قبلهِ ووعدنا هناك ببسط الكلام على رواياتهِ واسلوبهِ فيها وفلسفتهِ هذا من قبيل زولا وترجمتهِ . اما " العجول الذهبية " الذين تشير اليهم الكاتبة سواء كانوا اميركيين مثل كارنجي وركفلر او اوربيين مثل روشيلد وسسل رودس فستبقى مدارسهم

ومكاتبهم تنير اذهان الناس وترشدهم الى سواء السبيل بعد ان تلقى روايات زولا في زوايا النسيان إمّا بتغير منهاج الانشاء واقتفاء طرق جديدة فيهِ او باثبات الضرر لاسلوب التصريح الذي جرى عليهِ . وغرضنا الاول والاهم من نشر ترجماتهم ترغيب الناس في جمع الثروة لانها اضحت قوة لاتبارى حتى ان اضعف الشعوب صاروا اعزَّهم بها . وحث الاغنياء على انفاق جانب من ثروتهم على الاعمال النافعة لابناء نوعهم كما ينفق المثرون من الاميركيين والاوربيين . وعندنا ان ذلك انفع وابقى من تعليم الناس ان ابنة المرأة من زوجها تشابه عشيقها الذي يضمها الى صدرهِ ويعطيها من عضلاتهِ وعظامهِ ويغادرها مدموغة بآثار قبلاتهِ ونحو ذلك من الآراء الفاسدة علماً والشروح المفسدة للاخلاق

ولسنا على رأي المعجبين بكل ما ذكرهُ زولا في رواياتهِ ولا نشير على اولادنا بمطالعتها ولكننا لا ننكر عليهِ المقام الذي رقيهُ بين ابناء لغتهِ . وهذا الكتاب عنهُ غاية في الاجادة . وقد اهدتهُ مؤلفتهُ الى المحسن الشهير الخواجه فيلكس سوارس

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الثاني

لا نتذكر انهُ وقع في يدنا كتاب عربي بعد حضارة الاسلام فيهِ من الفوائد التاريخيَّة التي يودُّ كثيرون الوقوف عليها قدر ما في هذا الكتاب فنهنئ حضرة مؤلفهِ رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال بما وُفِق اليهِ في جمع موادهِ وتنسيقها وبناء الاقيسة عليها

ومدار الكلام فيهِ على ثروة الدول الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني امية وبني العباس فذكر مواردها ووجوه انفاقها بالاسهاب التام في عصر بني العباس لان "الثروة الاسلامية لم تنضج الاَّ في هذا العصر" واثبت جريدة ابن خلدون التي ذكرها في مقدمتهِ لجباية الدولة العباسية في ايام المأمون وجريدة قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي في كتاب الخراج لجبايتها في ايام المعتصم او بعدهُ وجريدة ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وهي عن جباية الدولة في اواسط القرن الثالث

وقد بلغت الجباية حسب الجريدة الاولى نحو ٣٩٦ مليون درهم وحسب الجريدة الثانية نحو ٣٨٨ مليون درهم وحسب الثالثة نحو ٢٩٩ مليون درهم واذا حسبنا كل ١٥ درهماً ديناراً والدينار نصف جنيه فقد كانت الجباية او ايرادات الحكومة سنة ٢٠٠ للهجرة نحو ١٣ مليون جنيه وربع مليون وسنة ٢٢٥ للهجرة نحو ١٣ مليوناً فقط وسنة ٢٥٠ نحو عشرة ملايين لا غير

ونشر القائمة التي عثر عليها البارون فون كريمر وفيها ما اشترطهُ احمد بن محمد الطائي على نفسهِ ان يقدمهُ من ضمانهِ الى بيت المال وما كان ينفقهُ بيت المال في بغداد في السنين الاولى من خلافة المعتضد العباسي سنة ٢٧٩ للهجرة وقد ذكر فيهِ مقدار المال اللازم لكل فئة من فئات الموظفين الذين تدفع رواتبهم من بيت المال وجملة ذلك مليونان ونصف من الدنانير او مليون وربع من الجنيهات . وحسب ان ما بقي من الدخل يبقى في بيت المال . قال "ويكون مجموع الباقي في بيت المال في السنة يساوي عشرة ملايين جنيه" . ثم قال ان مصادر ايراد الدولة كانت في اوائل الهجرة قاصرة على الزكاة ثم حدثت الغنائم بعد واقعة بدر الكبرى ثم الجزية لمن صالح من نصارى جزيرة العرب ويهودها ولما فتح الشام والعراق ومصر وضع الخراج والعشور على الارض والمكس على التجارة ثم زادت مصادر الجباية رويداً رويداً حتى بلغت احد عشر في ايام بني العباس اوسعها الخراج وكان الاعتماد عليهِ وانحط ايراد الدولة حتى بلغ سنة ٣٠٦ للهجرة ١٤ مليون دينار ونصف مليون اي نحو سبعة ملايين من الجنيهات على ما في تقرير الوزير علي بن عيسى الذي رفعهُ الى المقتدر

واسهب في الكلام على زيادة الايراد في القرون الاولى ونقصهِ بعد ذلك وذكر لتلك الزيادة ولهذا النقص اسباباً كثيرة . ويظهر لنا ان السبب الاوجه هو ان العرب دخلوا بلاداً عامرة كثيرة المال فنزف المال منها رويداً رويداً لانهم لم يعتنوا الاعتناء الواجب بعمارتها واستخراج خيرات ارضها فقلت خيراتها في عهدهم وقلَّ سكانها ايضاً . اعتبر ذلك بما اثبتهُ من ان جباية مصر كانت في زمن الخلفاء الراشدين ١٢٠٠٠٠٠٠ دينار وجباها عبد الله بن سعد في ايام عثمان ١٤٠٠٠٠٠٠ دينار ولكنهُ استعمل العنف في تحصيلها ثم انحطت جبايتها في ايام بني امية الى ٣٠٠٠٠٠٠ دينار وفي ايام المماليك الى نحو ١٠٠٠٠٠٠ دينار

ويمتاز هذا الجزء عن الجزء الاول باسناد كل ما جاء فيهِ الى المصادر التي نُقل عنها ولقد اصاب في ذلك غاية الاصابة . وفيهِ مئة وتسعون صفحة بقطع الهلال مفعمة بالفوائد التاريخيَّة

اسرار الارتقاء

ترجمهُ عن الانكليزيَّة حضرة المحامي الفاضل توفيق افندي دوس وقال في تمهيد وضعهُ لهُ انهُ طالعهُ في زمن الفراغ فوجدهُ ملؤهُ الفائدة الحقيقية ثمرة التجربة والاختبار فودَّ نقلهُ الى العربية عسى ان يستفيد منهُ بنو جلدتهِ ما استفادهُ منهُ هو. ولم نرَ الاصل حتى نقابل الترجمة بهِ ولكن يظهر لنا من مطالعتهِ ان المترجم راعى الاصل واضاف اليهِ اموراً تنتظم معهُ ويدعو

المقام اليها . والمؤلف وليم كوبت من ارباب الانشاء عند الانكليز ولهُ مؤلفات عديدة في مواضيع شتَّى وكتابهُ هذا من نخبتها ويصحُّ ان يقال فيهِ انهُ خزانة حكمة عمليَّة على ما ظهر لنا من الصفحات التي تصفحناها منهُ . وكثير من نصائحهِ معلوم مبتذل لكن لايخلو ذكرهُ من فائدة لان القارئ اذا رأى ان رأي الكاتب يطابق رأيهُ واختبارهُ زاد بهما تمسكًا واقتناعًا . وفيهِ امور اخرى غير مقارنة للصحة كنصحهِ للمرء ان لا يستحسن اقوال المؤلفين وكتاباتهم لان رجلاً فاضلاً مدحها لهُ بل ان يقرأها بامعان وتفكر ولا يقضي عليها الاَّ بما يظنهُ هو رغمًا عن كل ما يخالج فكرهُ من قول زيد وحديث عمرو من الكتَّاب العظام . فان هذه النصيحة مخالفة لروح الكتاب كلهِ التي مدارها ان يستفيد المرءُ من اختبار غيرهِ . والقصَّة التي سردها على اثر ذلك لا يصحُّ ان يبنى عليها حكم عام مثل هذا لان حادثة واحدة او حوادث قليلة لا تقوم مقام الاستقراء التام . كذلك قولهُ عن ارضاع الاطفال فانهُ بالغ فيهِ وارتكب الشطط . ونسبة الكتاب الى القواعد الفلسفيَّة التي توضع الآن للتربية كنسبة كتب الطب القديمة المبنيَّة على التجارب الى كتب الطب الحديثة المبنيَّة على النظريات العلميَّة . وهذا لا يقدح في الكتاب ولا يقلل نفعهُ فنثني على مترجمهِ لاجل الغيرة التي دفعتهُ الى ترجمتهِ

مذاكرات جمعية ام القرى

هو فصول نشرت اولاً في مجلة المنار الاسلامية بمصر مدارها البحث عمَّا اصاب اهل الاسلام من الفتور وعن العلاج اللازم لهُ . اما سبب هذا الفتور فقال فيهِ احد اعضاء تلك الجمعية ما نصهُ " اني ارى منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطنًا قدرية ظاهرًا . ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق واماتة المطالب النفسية كحب المجد والرئاسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظائم الامور وكالترغيب في ان يعيش المسلم كميت قبل ان يموت . وكفى بهذه الاصول مفترات مخدرات مثبطات معطلات لا يرتضيها عقل ولم يأتِ بها شرع ولمثلها نفى عثمان بن عفان رضي الله عنهُ ابا ذر الغفاري الى الربذة "

وقال آخر " ان سبب الفتور هو تحوُّل نوع السياسة الاسلامية حيث كانت نيابيَّة اشتراكية اي ديمقراطية تمامًا فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخلية ملكيَّة مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت اشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحوُّل من ان قواعد

الشرع كانت في الاول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين بالفتوحات وتفرقهم في البلاد فظهر في امر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الدخلاء فرجحوا الاخذ بما يلائم نزعاتهم الوثنيَّة وليتهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيهِ فاتخذ العمَّال السياسيون ولاسيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسيلة للانقسام والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك ان تفرَّقت المملكة الاسلاميَّة الى طوائف متباينة مذهباً متعادية سياسة متكافحة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضانة اهلهِ وتفرقت كلمة الامة فطمع بها اعداؤُها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجيَّة معاً لا تصادف سوى فترات قليلة ترقَّى فيها العلوم والحضارة على حسبها. وقد اثَّر استمرار الامَّة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثريَّة امَّة جندية صنعة واخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعيَّة. ثم بسبب فقدان القوَّاد والمعدات لم يبقَ مجال للحروب الرابحة فاقتصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن اي منذ صارت الجندية عند غيرنا صفة علمية مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والاحتيال لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور"

فقال آخر "ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بدَّ للفتور في المسلمين من سبب آخر. وفي ما اتصور ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب امرائنا المترفين الذين ضلوا واضلونا سواء السبيل"

وقال آخر "ان القاء التبعة على الامراء خاصة غير سديد لان امراءنا ان هم الاَّ لفيف منا فهم امثالنا من كل وجه وقد قيل كما تكونوا يولَّى عليكم فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن امراؤُنا مدنفين. وعندي ان البلية هي فقدنا الحرية وما ادرانا ما الحرية هي ما حُرمنا معناهُ حتى نسيناهُ وحرم علينا لفظهُ حتى استوحشناهُ. وقد عرَّف الحرية مَن عرَفها بان يكون الانسان مختاراً في قولهِ وفعلهِ لا يعترضهُ مانع ظالم. ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار انهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحق وبذل النصيحة. ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية. ومنها العدالة باسرها حتى لا يخشى انسان من ظالم او غاصب او غدَّار مغتال. ومنها الامن على الدين والارواح والامن على الشرف والاعراض والامن على العلم واستثمارهِ فالحرية هي روح الدين. وينسب الى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي

وما الدين الاَّ ان تقام شرائع وتؤْمن سبل بيننا وهضابُ

فقد حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع والامن . هذا ولا شك ان الحرية اعز شيء على الانسان بعد حياتهِ وان بفقدها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطَّل الشرائع وتختل القوانين . . . وقد كثرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال وترك الاعمال والبعد عن الجد والارتياح الى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام اسر النفس . . . . وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لا طبيعياً

هذا ونعترف ان فينا بعض اقوام قد الفوا من الوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل والهوان فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤْلمهم مفارقتهُ وهذا هو السبب في ان السواد الاعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد ان نالوا رغم انوفهم الامن على الانفس والاموال والحرية في الآراء والاعمال لا يرثون ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون الى الناقمين على امرائهم المسلمين شزراً وربما يعتبرون طالبي الاصلاح من المارقين من الدين كأن مجرَّد كون الامير مسلماً يغني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعتهُ واجبة على المسلمين وان كان يخرب بلادهم · والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل صعب وميسور"

وتلاهُ اثنان شدَّدا النكير على امراء المسلمين الذين هذه صفتهم وقال احدهما "ان ملوك الاجانب افضل منهم واولى بحكم المسلمين لانهم اقرب الى العدل واقامة المصالح العامَّة واقدر على عمارة البلاد وترقية العباد . وقد افتخر النبي عليهِ السلام بانهُ وُلِدَ في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب فقال ولدتُ في زمن الملك العادل . وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية انهُ لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة ٦٥٦ امر ان يستفتى علماؤُها اي الرجلين افضل السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر . فاجتمع العلماء في المستنصريَّة لذلك فلما وقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب حيث كان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً وكان مقدَّماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطَّهُ فيها بتفضيل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعدهُ"

وذكر غيرهم غير ذلك من العلل حتى ابلغوها ٨٦ علَّة واشاروا بما تداوى بهِ حتى جاؤُوا على اكثر مقوّمات الحضارة وقالوا انهم الَّفوا جمعية ام القرى للنظر في ذلك واصلاح حال المسلمين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الماء او الاثمار

النبطيَّة . احمد افندي عارف الزين . هل ترك الماء الصحيح واستبدالهُ بالاثمار والالبان احسن ام استعمالهُ على طريقة معتدلة . وايُّ المائين اصلح البارد ام الفاتر وهل يحسن ترك الشاي والقهوة

ج ان اكل الاثمار وشرب الالبان قد يغنيان عن شرب الماء ولكنهما غير ميسورين لكل احد ومن كانا ميسورين لهُ لا يكون من الحكمة ابدالهُ الماء بهما لانهُ خير السوائل لارواء العطش ولاذابة الطعام. والماء البارد الذ من الفاتر ولاسيما ايام الحر . وترك القهوة والشاي احسن للصحة الاَّ اذا اشار بهما الطبيب للتسكين ولتقليل الانحلال . ولكن الانسان لا يعامل طعامهُ وشرابهُ معاملة التاجر لبضائعهِ فيقتصر على ما منهُ ربح اكيد بل لا بدَّ لهُ من ان يفعل ما يلذُّ لهُ ايضًا ولو لم يكن منهُ نفع مادي يظهر في تكثير لحمهِ وتقوية عصبهِ . ولو استخفَّ كل احد بملاذ الحياة وحسبها كلها تجارة لأبطل الناس الكماليات كلها واقتصروا على الحاجيات وابطلوا اكثر الصنائع واكثر طرق المعاملات

(٢) الطعام مرتين او ثلاثًا

ومنهُ . اتناول الطعام الساعة الثانية عربيَّة مؤلفًا من البيض النيء واللبن الحليب الممزوج بالسكر وفي الساعة العاشرة عربيًّا اتناول العشاء وانام باكرًا فهل هذه الطريقة اصلح او ما هو مألوف من تناول الطعام صباحًا وظهرًا ومساءً والنوم الساعة الثالثة ليلاً

ج اذا كانت كميَّة الطعام واحدة ونوعهُ واحدًا فقسمتهُ ثلاثة اقسام في النهار خير من قسمتهِ قسمين فقط ولكن المرجح ان من يتناول الطعام ثلاث مرات في النهار يتناول فيها اكثر ممَّن يتناول طعامهُ مرتين فقط فاذا كان طعام المرتين كافيًا فطعام المرة الثالثة زائد عن الكفاف ومتعب للجسم ومضرٌّ بهِ . ولا فرق بين ان ينام الانسان باكرًا او متأخرًا بشرط ان يعتاد النوم في وقت معلوم وينام مدة كافية لراحة جسمهِ واسترداد قوتهِ

(٣) دواء الارق

ومنهُ . ما احسن دواء للارق

ج الارق عَرَض لا مَرَض ومعالجتهُ

تقتضي اولاً البحث عن سببهِ فاذا عُلِم ازيل اوعولج واذا لم يُعْلم عولج الارق نفسهُ بالمنوّمات والمسكنات اذا كان الدماغ متعباً من كثرة الاشغال اوكان المجموع العصبي مرتبكاً بالهموم او مضطرباً بامر يهيجهُ اوكان المرء قد الف الارق لكثرة السهر على مريض . ومَّما يحسن الاعتماد عليهِ استنشاق الهواء النقي قبل النوم والرياضة البدنية وشرب فنجان من اللبن السخن او من مرق اللحم السخن قبل النوم. وقد يقلق الانسان لسبب طفيف جدًّا كما اذا غيِّر فراشهُ او سمع صوتاً متكررًا او كان في غرفتهِ نور او ما اشبه او اذا بردت رجلاهُ فيزول الارق بازالة سببهِ . وقد يحصل من الحر او من الشعور بالحر ولو لم يكن حقيقيًّا فيعالج بمعالجة سببهِ . وقد يحصل من سوءِ الهضم في اشكالهِ المختلفة كما في التطبُّل وتولُّد الغازات وتمدُّد المعدة فيعالج بمعالجة سوء الهضم ويفيد حينئذٍ شرب كاس من الماء الحار عند النوم واذا لم يجدِ نفعاً يُسبق بشرب قليل من روح الامونيا العطرة وكربونات الصودا . ومَّما يفيد ايضاً شرب الايثير وماء روح النعناع واذا حصل الارق من شرب الشاي والقهوة وجب ابطالها . ولا بدَّ من الاعتماد على الطبيب في وصف العلاجات الدوائية مهما كان نوعها

(٤) الدمعة والعوينات

ومنهُ . رجل سنهُ العشرون كثير المطالعة تعتريهِ دمعة فهل تفيدهُ العوينات اولا وعلى فرض الافادة ايها لهُ احسن المحدبة ام المقعرة

ج لا بدَّ لهُ اولاً من ابطال المطالعة او تقليلها والاقتصار على ما حروفهُ واضحة من الكتب وعلى مطالعتهِ حينما يكون النور ساطعاً . اما كون العوينات (النظارات) محدبة او مقعرة فيتوقف على العينين فان بعضها تجتمع الصور فيهِ امام الشبكية وبعضها تجتمع الصور فيهِ وراء الشبكية فالاول يحتاج الى عوينات مقعرة والثاني الى عوينات محدبة . ويعلم نوع العوينات ودرجة تحدبها او تقعرها بالامتحان في عوينات مختلفة توجد عند اطباء العيون وتوجد احيانًا عند باعة العوينات انفسهم واذا لم تكن العوينات موافقة لحالة العنين تمام الموافقة يكون ضررها اكثر من نفعها

(٥) الالبان واللحوم

ومنهُ . اي الالبان واي اللحوم انفع وهل تستنسبون تناول الحليب (اللبن) سخناً او باردًا بعد تسخينهِ وهل ترون للحم الماعز ضررًا لمن اعتادهُ

ج ان العبرة بما تهضمهُ المعدة ويغتذي بهِ الجسم من اللبن واللحم لا بما فيهما من مواد الغذاء لان الغذاء كثير فيهما على كل حال ولكن المعدة لا تتناول الاَّ القليل منهُ عادةً . ولا بدَّ من تسخين اللبن اذا خيف ان يكون مشوباً بمادة ضارَّة ثم يشرب بعد ذلك

فاترًا او باردًا حسبما تعتاده المعدة . ولحم المعزى يضرُّ الذين لم يعتادوهُ لكن اذا اكلوهُ رويدًا رويدًا الفتهُ اجسامهم ولم يعُد يضرُّهم

(٦) حفظ الصحة

ومنهُ . ما عندكم من جوامع الكلم لحفظ الصحة حاصلة

ج الزم الاعتدال في كل شيءٍ فلا تفرط في طعام ولا عمل ولا شغل . وأَجِد مضغ طعامك وكُلْ الى حد الشبع ولا تزد

(٧) لذة النوم

مصر . عطا افندي فهمي مترجم دائرة دولة والدة خديوي . متى يجد النائم لذة النوم وهل النوم موت قصير وهل تتعطل الحواس الخمس مدة النوم واذا كانت تتعطل فكيف يحصل للنائم احيانًا ان يقوم مذعورًا من نومهِ

ج ان الراحة الحادثة من النوم تنال الجسم حالما ينام ولكن المرء لا يشعر بها الاَّ في اليقظة فانهُ يشعر حينئذٍ بالنشاط الناتج عن راحة النوم او عن استرداد اعضاء الجسم لقوتها مدة الانقطاع عن العمل . والجسم مثل حوض ينصبُّ فيهِ ماءٌ من حنفية ولهُ حنفية اخرى يخرج الماء منها الاولى بمثابة الدم الذي يغذي الجسم بما فيهِ من الغذاء والثانية بمثابة العمل الذي تندثر بهِ دقائق الجسم . ففي اليقظة والعمل يزيد الاندثار على الغذاء حتى يكاد الحوض يفرغ . وفي النوم يزيد الغذاء على الاندثار فيعود الحوض يمتلئُ . والحواس تبطل شغلها وقت النوم كما تبطل الرجلان المشي واليدان الحركة ولكن ابطالها الشغلها يكون وقتيًّا فاذا نبهها منبهٌ انتبهت وعادت اليها الحركة وهذا المنبه قد يكون خارجيًّا وقد يكون داخليًّا . اما سؤَالكم الآخر عن الناس ذات الرؤُوس الطيَّارة فلم يصل الينا

(٨) جوهرة الثعبان

فاقوس . محمد افندي ابرهيم طاهر . يقول بعض الناس ان الثعبان اذا بلغ من الكبر عتيًّا تولدت لهُ جوهرة يخرجها من فؤَادهِ عند الحاجة للتعيُّش على ضوئها فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ

(٩) كذبة ابريل

ابو شوشه . ديمتري افندي بطرس . في غرة ابريل من كل عام يكذب الناس بعضهم على بعض بارسال بعضهم بعضًا من مكان الى آخر فما هو اصل هذه العادة

ج يقال ان فيها اشارة الى ارسال السيد المسيح من عند بيلاطس الى هيرودس وردهِ من هيرودس الى بيلاطس ولكن المرجح انها عادة وثنية قديمة يراد بها مجرد الهزل وانها كانت شائعة في اوربا قبل انتشار الديانة المسيحيَّة فيها

(١٠) القرينة

مصر . محمود افندي اللقاني . اعتاد بعض الناس الذين يموت اولادهم وهم صغار لا يتجاوزون السنة الاولى ان ينسبوا موتهم الى القرينة فما هذه القرينة وما هي اسبابها

ج يموت الاطفال من فساد الطعام وقلة الاعتناء . والقرينة خرافة وهمية لا حقيقة لها

(١١) زرقاء اليمامة

حمص . رزق الله افندي نعمة الله عبود . اصحيح ما رواهُ مؤرخو العرب عن زرقاء اليمامه من انها كانت تبصر مسافة ثلاثة ايام أم فيهِ مبالغة وكيف يمكن ذلك والارض كرة وهل يوجد الآن اناس حديد والبصر الى هذه الدرجة

ج لا شبهة ان في الخبر عنها مبالغة كثيرة فان البصر لا يمتد الى مسافة ثلاثة ايام او ستين ميلاً الاَّ اذا وقف الانسان على جبل ارتفاعه ٤٨٠٠ قدم او اذا وقف في سهل ونظر الى جبل ارتفاعهُ ٤٨٠٠ لكن الزرقاء كانت تسكن مع قومها بلاداً ليس فيها جبال مرتفعة الى هذا الحد ثم انهُ يتعذَّر على العين ان تجمع على هذا البعد الشاسع نوراً كافياً يريها صور الناس

(١٢) مرض المعدة

اسيوط . احمد افندي محمد خشبه . مرضت بمعدتي منذ اربعة اشهر وكان من نتيجة ذلك اني اذا اطلقت لنفسي العنان في الاكل حتى قربت من الشبع انتابني عقب الاكل خفقان شديد وضربان في جميع الجسم وهذا الامر لا يحصل اذا اقتصرت على اكل قليل فهل استمر على ذاك القدر رغماً عن حاجتي الشديدة الى الاكل ام يحسن ان آكل حتى اقرب من الشبع رغماً عن الخفقان والضربان

ج الاحسن ان تقتصروا على الاكل القليل المغذي السهل الهضم كاللبن والبيض والمرَق مع الاطعمة النشوية المائعة المطبوخة جيداً ولا تعتمدوا على الشعور بالحاجة الى الطعام لانهُ قد لا يكون دليل الحاجة الحقيقيَّة. واستعملوا الادوية المقوية للمعدة التي تستعمل لمنع تمددها ثم زيدوا الطعام رويداً رويداً ما دمتم لا تشعرون بتعب من زيادتهِ

(١٣) تلوُّن البول

ومنهُ . يشكو البعض من تلوُّن البول باللون اللبني فما سبب هذا الداء وكيف يعالج

ج سببهُ ديدان صغيرة ميكروسكوبية تسمَّى فلاريا دم البشر . وهذه العلَّة تشفى من نفسها وتعالج غالباً بالمركبَّات الحديدية كصبغة بركلوريد الحديد وموريات الحديد والقوابض والاستحمام بالمياه الملحة وتقليل الاطعمة الحيوانية

باب الاخبار العلمية

اشعة رنتجن والسرطان

كُتب الى الدابلي ميل من اميركا ان احد مساعدي اديصن واسمهُ تشارلس دالي اصيب بالسرطان في يديهِ من تأثير اشعة رنتجن واشعة الراديوم بهما واقتضت الحال قطع يديهِ كلتيهما لئلاَّ يمتد السرطان في بدنهِ . وقد درس المستر اديصن هذه الحادثة درساً مدققاً واشار بطريقة لمنع الضرر من اشعة رنتجن واشعة الراديوم يحسبها مفيدة ايضاً في معالجة السرطان . فقال ان في البدن الصحيح اجساماً صغيرة من نوع الاميبا تجري فيهِ من جهة الى اخرى تأْكل ما يدخلهُ من الجراثيم الغريبة عنهُ وتردُّ الاعضاء المأْوفة الى حالتها الطبيعية . والظاهر ان اشعة رنتجن تميت هذه الاجسام فلا يعود البدن قادرًا على التخلُّص من الآفات الجراحية التي تعتريهِ فيعالج حينئذٍ بادخال دم صحيح اليهِ من حيوان صحيح بواسطة الحقن ليدخلهُ مقدار كاف من الاميبا مع دم ذلك الحيوان . ولا يبعد ان يكون الحقن بالدم مفيدًا في معالجة السرطان ايضاً

هذا وان البعض يعالجون الذئب الاكال باللحم النيء يضعون قطعة من اللحم على ما تقرَّح من الاورام الذئبيَّة فان كانوا قد رأَوا فائدة من ذلك فلا يبعد ان تكون ناتجة عن ان هذه الاجسام (وهي من نوع كريَّات الدم البيضاء او هي اياها) تتصل من اللحم النيء الى التقرُّح وتأكل ميكروبات المرض منهُ فتكون بمثابة مدَد لكريات الجسم البيضاء للتغلُّب على الميكروبات المرضيَّة

نزع برج ايفل

عين الفرنسويون لجنة لتخطيط شان ده مارس وانشاء الشوارع فيهِ فاجمعت على نزع برج ايفل منهُ حينما تنتهي مدة امتيازهِ اي سنة ١٩١٠ . وسيأْسف على ذلك البرج كل مَن رآهُ وشاهد مدينة باريس وضواحيها من قنتهِ وعسى ان يعدل الفرنسويون عن عزمهم ويجدوا سلوبًا لحفظ حديدهِ من الصدإِ والبلى ويبقوهُ اثرًا خالدًا لما بلغتهُ الصناعة الميكانيكية في اواخر القرن التاسع عشر

مساعدة المخترعين

كثيرًا ما يخترع رجل اختراعاً ثم يعجز عن الانفاق على اخراجهِ من القوة الى الفعل فتألفت في المانيا شركة غرضها مساعدة المخترعين الفقراء على استعمال مخترعاتهم وقد وجدت ان الحكومة الالمانية اعطت امتيازًا

بمئة وار بعين الف اختراع ولكن لم يستعمل منها الاَّ نصفها والنصف الآخر اهملهُ اصحابهُ لضيق ذات يدهم . وهذه الجمعيَّة تعطي المخترعين مكانًا لوضع ما يخترعونهُ وامتحانهِ من غير اجرة وتساعدهم على بيعهِ من غير سمسرة

ترياق سم الافاعي

قال الدكتور كلمت مكتشف ترياق سم الافعى ان الترياق المستخرج من سم نوع واحد من الافاعي يشفي من سموم الافاعي كلها اي انهُ ترياق عام لسموم الافاعي وخالفهُ في ذلك اكثر العلماء الباحثين في هذا الموضوع والظاهر ان مذهبهم تأيد الآن وثبت ان الترياق المستخرج من سم نوع من الحيات يشفي من سم ذلك النوع دون سواهُ . اما الترياق فيستخرج من مصل دم حيوان حُقن بسم الافعى مرارًا متوالية وزيدت كمية السم رويدًا رويدًا

دوار الجبال

يعتري بعض الناس الذين يصعدون في الجبال العالية دوار مثل الدوار الذي يعتري المسافرين بحرًا وقد اتفق للبعض ان صعدوا في جبال اراراط فاصابهم الدوار المذكور فجلسوا وغلوا الشاي وشربوهُ سخنًا جدًّا ففارقهم الدوار حالاً

الحمى الصفراء والبعوض

قالت جريدة العلم الاميركية انهُ ثبت بالامتحان للجنة ارسلها مستشفى البحرية الى ڤرا كروز ان الحمَّى الصفراء مسببة عن حيوان صغير من نوع الحلَم لا عن ميكروب من نوع البكتيريا. وانها تنتقل بواسطة لسع البعوض فهو سبب العدوى اي ان حلَم الحمى الصفراء يعيش في جسم البعوض وينتقل الى من يلسعهُ وان هذا يصدق على نوع واحد من البعوض وهو النوع المسمَّى علميًّا Stegomyia Fasciata فالبعوض يسبب الحمَّى الملارية والحمَّى الصفراء وحمى الدنج

مجمع ترقية العلوم الفرنسوي

التأم هذا المجمع في مدينة انجر برئاسة المسيو اميل لڤاسر فاتخذ "الاجرة" موضوعًا لخطبة الرئاسة وقال ان ما كُتب في هذا الموضوع يملأُ مئات من المجلدات وملايين من الاوراق وجعل مدار كلامهِ على الاسباب التي يتعيَّن بها مقدار الاجرة وعلى هل زادت اجور العمال عما كانت عليهِ فقال في القسم الاول ان مقدار الاجرة يتوقف على فائدة العامل للعمل ومقدار النفقة اللازمة للعامل وعائلتهِ ودرجة نجاح البلاد ومقدار المال عند ارباب الاعمال والاتفاق او الاختلاف بين العمَّال وارباب الاعمال ونظام البلاد الاداري والاجتماعي . وقال في القسم الثاني ان الاجور زادت في فرنسا وغيرها من البلدان المتمدنة بسبب زيادة الغنى بنوع عام ونجاح الاعمال واتقان الآلات ومهارة الصناع افرادًا واجمالاً

السودان قبل التاريخ

قال المسيو ده باران في اكادمية العلوم الفرنسوية انهُ وصلتهُ اصداف متحجرة من جهات السودان فاذا هي من الاصداف التي تعيش في الماء الملح وتدل على ان البحر كان يغطي تلك الجهات او على انهُ كان في قلب افريقية بحر متلاطم الامواج قبل عصر التاريخ

اديان البشر

ظهر من احصاء الدكتور زلر مدير ديوان الاحصاء في ستتغرت ان عدد سكان المسكونة الآن ١٥٤٤٥١٠٠٠٠ وهم مقسومون حسب اديانهم هكذا

مسيحون	٥٣٤٩٤٠٠٠٠
مسلمون	١٧٥٢٩٠٠٠٠
يهود	٠١٠٨٦٠٠٠٠
اتباع كنفوشيوس	٣٠٠٠٠٠٠٠٠
براهمة	٢١٤٠٠٠٠٠٠
بوذيون	١٢١٠٠٠٠٠٠

والباقون من اديان مختلفة . الاَّ اننا نرجح ان عدد المسلمين اكثر من ذلك كثيرًا ولا يبعد ان يكون عددهم ٢٥٠ مليونًا

زوبعة جمايكا

ثارت زوبعة عنيفة في جزيرة جمايكا ليلة الحادي عشر من اغطس خرَّبت البيوت وقتلت كثيرين من السكان واصبح بها الجانب الشمالي الشرقي من الجزيرة قاعًا صفصفًا

البرد وحرارة الراديوم

ظهر للمسيو كوري وزوجتهِ ان الحرارة التي تصدر من الراديوم تبلغ اعظمها متى برّد الراديوم الى اشد درجات البرد اي متى وضع في الهيدروجين السائل فكلما اشتدَّ بردهُ زاد صدور الحرارة منهُ . والحرارة الصادرة من ملح من املاح الراديوم تزيد رويدًا رويدًا الى مدة شهر بعد تركيب ذلك الملح وبعد الشهر تقف على درجة واحدة لا تزيد ولا تنقص

تغير مغنطيسيَّة الارض

ذكر الاستاذ اغممنون ان الاب فرنسسكو شفردي كتب سنة ١٦٨١ عن تغير فجائي اصاب الابر المغنطيسيَّة في مدينة رومية كان انحرافها ٣ درجات فقط فاصبح ٥ درجات وحدث ذلك في اواخر اكتوبر سنة ١٦٨٠ وعلل هذا الانحراف بحدوث الزلازل في اسبانيا ومالقة

احتراق قطار كهربائي

في باريس ترامواي كهربائي يسير في نفق طويل تحت الارض . وحدث في العاشر من شهر اغسطس ان الآلة المتحركة التي في احد قطاراتهِ اختلت فوقف القطار كلهُ ونزل الركاب منهُ ومن القطار الذي وراءهُ وكان في كل منهما اربع مركبات مشحونة بالركاب وجعل القطار الثاني يسوق الاول امامهُ لكي

يصل بهِ الى المحطة فلا يسد الطريق . والظاهر ان الآلة التي وقفت اختلت باحتراق حدث فيها من شدَّة حركتها فاشتعلت بعد قليل وامتدت النار الى المركبات كلها لان سرعة سيرها دفعت اللهب الى الوراء فعمَّها كلها وملأَ النفق فاذاب اسلاك النور الكهربائي فانطفأَت المصابيح في النفق كلهِ وجاء قطار ثالث فرأَى النار مضطرمة امامهُ فاستولى الرعب على ركابهِ وعلى الركاب الاولين فجعلوا يركضون يمنة ويسرة ويدوس بعضهم بعضاً والذين بلغوا منهم المحطات القريبة رأَوا الركاب نازلين على سلالمها فوقع بعضهم على بعض ومات منهم ٨٣ نفساً اختناقاً ودوساً

وقد اخبر احد الذين نجوا بما شاهدهُ من غمرات الموت قال . نزلت في القطار انا وزوجتي الساعة السابعة مساء فلما بلغنا شارع باريه طُلب منا ان ننزل منهُ لان ارض المركبة التي فيها المحرك الكهربائي اشتعلت غير ان النار أُطفئت منها حالاً واستمرَّ القطار سائراً فنزلنا منهُ وركبنا في القطار الذي جاء وراءهُ وازدحمنا فيهِ ازدحاماً . ثم طُلب منا ان ننزل كلنا من القطار الثاني لان القطار الاول وقف عن السير وصارت قوة قطارنا لازمة كلها لدفعهِ امامهُ فنزلنا وانتظرنا قطاراً ثالثاً وركبنا فيهِ كلنا وكان بعض الركاب يضحك وبعضهم يتذمر وبعضهم يحلف او يشتم وما منهم من يدرك مقدار الخطر الذي كنَّا فيهِ حتى بلغنا محطة كورون واذا نحن باثنين من مستخدمي القطرات اقبلا الينا وهما يناديان ويقولان لينجُ من يستطيع النجاة . فصدق البعض كلامهم وارتعبوا وكذبهُ البعض الآخر واغتاظوا واسرعتُ انا وزوجتي وجمهور من الركاب الى سلم المحطة لنهرب منها (فان المحطة على وجه الارض وينزل منها بسلم الى القطار) فوجدناها مشحونة بالركاب النازلين فيها ليركبوا القطار فانذرناهم بسوء المصير وطلبنا منهم ان يصعدوا لكي نصعد وراءهم فلم يصدقوا

وكان الدخان قد وصل الينا فقلت في نفسي ان انا بقيت هنا هلكتُ مع هؤُلاء الناس فامسكت بيد زوجتي وقلت لها هلمَّ بنا لنعود الى محطة بلقل فسرنا وسار نحو عشرة وراءنا ولم نمشِ عشرة امتار حتى انطفأَت المصابيح الكهربائية فامسينا في ظلام دامس وجعلنا ننادي ولا مجيب وبعد قليل اقترب منا احد المستخدمين ومعهُ مصباح احمر وسار امامنا فتبعناهُ مسرعين وتبعنا الدخان وكان يزيد كثافة وسمعت بكاء امرأَة ورائي وشعرت كأَنَّ اثنين سقطا في الطريق ولكنني لم أَلوِ على احد لانني كنت هارباً للنجاة بنفسي وبزوجتي وكانت ركبتاها ترتعشان وكادت تسقط من يدي فوصلنا محطة بلفل واذا هي مزدحمة بالركاب النازلين على سلمها مثل محطة كورون فجعلنا نناديهم لكي يصعدوا ونتوسل اليهم فلم نلقَ مجيباً لانهم كانوا قد دفعوا اجرة السفر

ولم يشاؤُوا ان يخسروها. وشملنا الدخان حينئذٍ حتى كدنا نختنق فمددت يديَّ وجعلت أَلطم وادفع من امامي حتى فتحت طريقاً على السلم فصعدنا ونجونا

وقال حارس القطار الثالث كان قطاري مزدحماً وفيهِ ٣٥٠ نفساً فلما بلغنا محطة باريه اخذنا ركاب القطار الذي اشتعل وسرنا حتى بلغنا محطة كورون فاشير الينا لنقف واذا امامنا دخان كثيف آتٍ نحونا فخفت العاقبة وناديت الركاب لينزلوا واسرعت الى التليفون لكي اقول للذين في محطة بلفل حتى يقطعوا المجرى الكهربائي لكنني وجدت التليفون عاطلاً لا ينقل الكلام فناديت الحارس وطلبت منهُ ان يسرع الى المحطة و يطلب قطع المجرى. وطلبنا من الركاب ان ينزلوا فابوا قائلين انهم دفعوا الاجرة ولا ينزلون الاَّ ونردها لهم فقلت لهم اننا نرد الاجرة اما الآن فيجب ان تنجوا فقاموا عليَّ وتهدَّدوني ولطمني بعضهم واجتمع حولي جمهور منهم منع البقية من الوصول الى السلَّم وحينئذٍ انطفأت المصابيح الكهربائية فعلا الصياح واشتبك الناس بعضهم ببعض وشملنا الدخان حتى كدنا نختنق فجعلت اتلمَّس الحائط واسير الى جهة الشمال لانني اعلم انهُ يوجد باب هناك فعثرت بشخص في طريقي فامسكت بهِ وجررتهُ معي الى ان وصلت الى الباب وكان قد اعتراني الدوار وكاد يغمى عليَّ فامسكت بالسلم الذي عند الباب وصعدت درجتين ولم اعد اعي على شيءٍ ولحسن الحظ وجد هناك من رفعنا وساعدنا حتى افقنا

ووصف احد مكاتبي الجرائد ما شاهدهُ في النفق بعد الحادثة فاذا الناس الذين ماتوا كانوا يمزقون الجدران ويمزق بعضهم بعضاً قبل ان اسلموا الروح

اليوكالبتوس في افريقية

اليوكالبتوس شجر من استراليا ولكنهُ ينمو ويجود في افريقية حتى قال بعض الثقات انهُ سيكون الاعتماد عليهِ في زرع الغابات فيها لجودة خشبهِ وسرعة نموهِ وقد كثر زرعهِ في بلاد الراس ويستعمل خشبهُ الآن فلنكات لسكك الحديد وهو اجود من خشب الصنوبر المقطرن

الاستاذ هنري

وجد الاستاذ برسبر هنري الفلكي الفرنسوي ميتاً في جبل الالب في مكان ارتفاعهُ ١٦٠٠ متر عن سطح البحر والظاهر انهُ مات برداً وذلك في الخامس والعشرين من شهر يوليو الماضي. وهو علماء الفلك المشهورين واليهِ والى اخيهِ بول هنري ينسب فضل تخطيط السماء بواسطة الفوتوغراف وقد اكتشفا اربع عشرة من النجيمات

معادن افريقية

الف موسيو ده لوني كتاباً موضوعهُ غنى افريقية بالمعادن بيَّن فيهِ ان بلاد مصر كانت

في العصور الغابرة مثل كليفورنيا في هذا العصر لكثرة الذهب المستخرج منها من بين النيل والبحر الاحمر وقيمة ما استخرج من افريقية كلها من المعادن والحجارة الكريمة سنة ١٨٩٨ نحو ٢٣ مليون جنيه اكثرها من ذهب الترنسفال فان قيمتهُ نحو ١٦ مليونًا ونصف مليون وماس مستعمرة الراس فان ثمنهُ بلغ اكثر من اربعة ملايين . وكانت قيمة المعادن المستخرجة من بلاد الجزائر ٦١٣ الف جنيه ومن مستعمرة الراس ٤٦١٠٥٨٧ جنيهاً ومن السودان الفرنسوي ١١٥٦٠ جنيهاً ومن شاطىء الذهب ٦٣٨٣٨ جنيهاً ومن ناتال ٧٥٠٧٥ جنيهاً ومن مستعمرة نهر الارنج ٤٩٨٧٩٧ جنيهاً ومن روديسيا ٨٣٠٥٣ ومن السنيغال ١٥٤٦٤ ومن الترنسفال ١٦٩٥٥٠٠٠ ومن تونس ٥٧٢٢٨

وزادت قيمة الماس المستخرج من مستعمرة الراس سنة ١٩٠١ فبلغت ٥٣٨٧٩٥٥ جنيهاً وقيمة الذهب المستخرج من رودسيا . واستخرج من مدغسكر ذهب قيمتهُ ١٢٨٦٠ جنيهاً

تلغراف مركوني

وضعت آلات تلغراف مركوني في كل البوارج الانكليزية وفي اكثر الطرادات . والحكومة الانكليزية تدفع الآن الى شركة مركوني نحو عشرين الف جنيه كل سنة . وقد استعمل الروس تلغراف مركوني في بلاد الصين بين مينا ارثر والبوارج الروسية في خليج بتشلي

الريحان والبعوض

ذكرنا غير مرة ان بعضهم كتب الى جريدة ناتشر يدعي ان نبات الريحان (الحبق) او نوعاً منهُ يطرد البعوض فلا يدخل غرفة زرع فيها . وقد اكثرت الجرائد الاوربية من ذكر ذلك واخيراً كتب بعضهم من غربي افريقية يقول انهُ وجد هذا النبات لا يطرد البعوض كما قيل لا اذا كان اخضر ولا اذا كان يابساً واذا حُرق اليابس منهُ في غرفة فيها بعوض هرب البعوض منها او مات ولكن يجب ان يكون دخانهُ كثيفاً فيها حتى يضطر الناس ان يخرجوا منها ايضاً

دودة لوز القطن

وعد حاكم ولاية تكساس باميركا ان يعطي عشرة آلاف جنيه لمن يستنبط واسطة لملاشاة دودة لوز القطن

بطريَّة اديصن

تمَّ عمل البطريَّة التي استنبطها اديصن وقال انها افضل من كل بطرية تقدمتها لخزن الكهربائية فانهُ يخزن فيها اكثر من مضاعف ما يخزَن في غيرها . ولم يشع استعمالها حتى الآن لان معاملهُ لم تكن تستطيع ان تصنع منها الاَّ بطريَّة واحدة في اليوم ولكن في شهر اكتوبر هذا تصير تصنع ست بطريات

في اليوم وفي دسمبر تصير تصنع كل ما يُطلب منهُ . وهي تملأ في ساعة من الزمان فتسير بها المركبة اربعين ميلاً وستصنع على اربعة اشكال شكل يخدم مسافة ٢٥ ميلاً وشكل يخدم مسافة ٥٠ ميلاً وشكل مسافة ٧٥ وشكل مسافة ١٠٠ ميل . وقد ثبت بالامتحان الرسمي ان بطريَّة الرصاص القديمة التي ثقلها ١٢٦٠ ليبرة تسير بها المركبة ٢٥ ميلاً واما بطرية اديصن التي ثقلها ٦٥٠ ليبرة فتسير بها تلك المركبة ٣٧ ميلاً . ويقال انها متى كثرت لم يعد يستعمل في الاتوموبيل غيرها

التلفوت

التلفوت Téléphot آلة جديدة لتصوير الاشباح البعيدة بالفوتوغراف وهي تكبّر الصورة قبلما تصورها على اسلوب بسيط جداً فتدخل الاشعة من عدسية آلة التصوير وتنعكس عن مرآة وراءها في المكان الذي يوضع فيهِ لوح التصوير عادة وهذه المرآة مائلة قليلاً الى الاعلى فتنعكس الاشعة عنها الى مرآة اخرى فوق العدسية ثم تنعكس عن هذه المرآة الى لوح التصوير ويكون اللوح موضوعاً فوق المكان الذي يوضع فيهِ عادةً فتنفرج الاشعة كثيراً في سيرها وانعكاسها مرتين وترتسم بها الصورة الصغيرة جداً لبعدها كبيرة كأنها قريبة فهي تكبّر صور الاشباح البعيدة وتصورها في وقت واحد

الراديوم والسل

بينما نجد معمل اديصن في اميركا يثبت حدوث السرطان من اشعة رنتجن واشعة الراديوم نجد علماء اوربا يثبتون فائدة اشعة الراديوم في شفاء السل وقد نشر الجرنال الطبي البريطاني (برتش مديكال جورنال) مقالة مسهبة في هذا الموضوع بيَّن فيها ان اشعة الراديوم والثوريوم تميت ميكروب السل لكن استعمال درهم من الراديوم خمس دقائق بمثابة استعمال درهم من الثوريوم عشر سنوات . ويهتم الاطباء الآن بكيفية ايصال اشعة الراديوم والثوريوم الى الرئتين والاجزاء المأُوفة فيهما وعندهم ان الثوريوم يقوم مقام الراديوم لرخصهِ ولو كان ابطأ منهُ فعلاً

التعليم العالي في اميركا

في مدارس اميركا العالية والاستعدادية ٦٥٠٠٠٠ تلميذ وفي مدارسها الكلية والجامعة اكثر من مئة الف تلميذ يتلقون التعليم العالي (الثانوي) واكثر من خمسين الف تلميذ يتلقون التعليم النهائي كالطب والحقوق والهندسة . والذين نالوا الشهادة سنة ١٩٠١ من المدارس الكلية والجامعة بلغوا ١٦٥١٣ الذكور منهم ١١٤٦٣ والاناث ٥٠٥٠ ونال الدبلوما الطبيَّة ٥٤٧٢ والدبلوما في علم الحقوق ٣٣٦٦ وفي طب الاسنان ٢٣١١ وفي اللاهوت ١٥٨٥ وفي الصيدلية ١٣٧٣ وفي الطب البيطري ١٠٠

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين

٧١٣ مركيز سلسبري (مصوَّرة)

٧٢١ بحث في الكامل . لمحمد افندي كردعلي

٧٢٨ فردريك الكبير ملك بروسيا . لجرجي افندي يني

٧٣٧ منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهر خير الله

٧٤٣ رجال المال والاعمال (مصوَّرة)

٧٤٧ البابوبة وانتخاب الباباوات . ن . ب

٧٥٢ الهيدروسكوب

٧٥٥ الثلج في افريقية

٧٥٨ دلالة الغيم (مصوَّرة)

٧٦١ السل وعلاجهُ الحديث . للدكتور انيسة صيبعة

٧٦٤ طفل مدى الحياة

٧٦٦ العرافة الحديثة

٧٦٩ باب المراسلة والمناظرة * ردٌّ على انتقاد · التاز · الدرجة والميل · اصلاح وهم

٤٧٧ باب الزراعة * غلة القمح ومستقبلهُ · الفول السوداني · زرع الاناناس · الزراعة والميكروبات اصلاح الجنائن · الخضر في غير اوانها

٧٨٣ باب تدبير المنزل * تمريض المرضى · غادة المرآة

٧٩٠ باب التقريظ والانتقاد * تاريخ حياة اميل زولا · تاريخ التمدُّن الاسلامي · اسرار الارتقاء · مذاكرات جمعية ام القرى

٧٩٧ باب المسائل * الماء او الاثمار · الطعام مرتين او ثلاثًا · دواء الارق · الدمعة والعوينات · الالبان واللحوم · حفظ الصحة · لذة النوم · جوهرة الثعبان · كذبة ابريل · القرينة · زرقاء اليمامة · مرض المعدة · تلوُّن البول

٨٠١ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٣٢ نبذة

رواية كليو باطرة ملحقة بالمقتطف

الفصل الثامن عشر

وبقيت انوكس في غرفة مولاتها فازالت آثار الصباغ عن اناملها ورفعت يديها وتوسلت الى آلهة بلادها لكي تقي بارين وتنجيها مما تخشى ان يحلّ بها وتنعم عليها بالسعادة التي تتمناها. وكانت شارميان قد قالت لها انهُ اذا سألت الملكة عنها قبل عودة ايراس فلتقل لها انها خرجت وستعود حالاً ولتقم مقامها. فان شارميان مرضت مرةً لما كانت مسافرة مع الملكة فكانت انوكس تقوم مقامها في إلباس الملكة وعقص شعرها وتزيينها وابدت من البراعة في ذلك ما ارضى الملكة

وخرجت شارميان ووراءها جارية سوداء على جاري عادتها فكان الحرّاس والخدّام والخصيان والعبيد يغضون طرفهم و يقفون اكراماً لها وظلت سائرة الى ان بلغت الساحة الخارجية فاذا هي بالكساس فلما رآها مال اليها وكلمها وهو يبدي الاحترام الواجب وقال لها انهُ اجتهد كي لا يكون لهُ يد في محاكمة صديقتها ولكن امر الملكة صريح لا يمكنهُ الهرب منهُ ولذلك عزم ان لا يطيل انتظارها وامر ان يؤتى بها الى المحاكمة في الغد . ودار خادمهُ ومسّ كتف بارين وهو يحسبها انوكس وقال لها تعالي الليلة وكمّلي لنا القصة. فلم تدرِ بما تجيبهُ لكنها اشارت اليهِ بالايجاب وسار سيدهُ حينئذٍ فاضطرّ ان يتبعهُ واسرعت شارميان وبارين وخرجتا من الباب الخارجي واستنشقتا هواء البحر فانتعشتا واخبرت بارين شارميان بما قالهُ لها عبد الكساس وانها اشارت اليهِ بالايجاب حتى تخبر انوكس حين عودتها بذلك فلا تنكر على العبد اذا قال لها انهُ رآها وكلمها

وكان الطريق الى الهيكل قصيراً ولكن عرض ما اخّرهما عن الوصول اليهِ فانهما رأتا موكباً دينياً آتياً من الهيكل وفي مقدمتهِ اربعة من الكهنة يحملون تمثال ايسس ووراءهم حملة الازهار والكاهنات وحملة الكتاب المفتوح ثم الانبياء ورئيسهم يسير الهوينا تحت قبة رفيعة ووراءهُ كثيرون من الكهنة يحملون المصاحف وبعض الآنية الدينية والاكاليل والكاهنات وقد وضعن اكاليل الازهار على رؤُوسهنّ وشاركنَ الكهنة في النشيد لايسس ووراءهنّ كثيرون من الخدم والعبّاد وحاملي الاكاليل والمشاعل والمصابيح وامامهم ووراءهم حملة المباخر . وسمعتا من الجمع المزدحم ان هذا الموكب ذاهب من الهيكل الى القصر ليحيي الملكة من قبَل المعبودة ايسس ويؤكد لها ان المعبودة لا تنساها في ضيقتها. ولا بدَّ من ان تلاقي الملكة هذا الموكب بالترحيب وتقابلهُ لابسة تاج مصر العليا ومصر السفلى وأفخر الحلل الكهنوتية ولا احد يستطيع ان يلبسها اياها الاّ شارميان وايراس فوقفت شارميان حيرى في امرها ثم رأت الخدّام يخرجون الجمع من الهيكل ويقولون ان ابوابهُ ستقفل الى ان يعود الموكب اليهِ فزادت حيرتها ونظرت الى ايراس

وهي لا تدري ماذا تفعل واذا برجل طويل القامة دنا منهما وقال اتبعاني وسار بهما ودار وراء الهيكل الى باب برّاني فرأوا اناساً يحملون رجلاً وضعوهُ في محفة فتبعوهم وصعدوا على درج الى غرفة كبيرة قليلة النور يتفرّع منها سبعة سراديب ثلاثة منها توصل الى ثلاثة محاريب الاوسط منها لايسس والذي على شمالهِ لزوجها اوسيرس والذي على يمينهِ لابنها هورس وامامها المذابح عليها القرابين التي قرّبها ارخيبوس

ورأتا المحفّة امام محراب هورس وشاباً نحيف الجسم ينزل منها متكئاً على رجلين واذا بصوت يصمّ الآذان دوى في رواق الهيكل وهو صوت الاقفال النحاسية التي يقفل بها باب الهيكل فذُعرت بارين من ذلك لكنها لم تفهُ بكلمة ولا انتبهت الى ما امامها من التحف وبدائع الصناعة لانها رأت ان الرجل الذي نزل من المحفة هو ديون فلم يحل نظرها عنهُ لحظة ولم تستطع ان تخفي ما بها بل نادتهُ باسمهِ فنظرت شارميان اليهِ مدهوشة وللحال وقعت عيناها على جورجياس وارخبيوس وبرنيكي بارين فاطمأَن بالها وسكنت هواجسها . ولما نادت بارين باسم ديون دنا ارخبيوس منها واسرَّ في اذنها قائلاً اصبري قليلاً فسيتم كل شيء على ما تودين ثم قال لها ألا تريدين ان نعقد عقدكما في الهيكل امام الالهة فارتعدت مفاصلها لكنها اومأت اليهِ بالايجاب ولم تدرِ كيف تعبّر عما خالج فؤادها حينئذٍ من الفرح

وتناول ارخبيوس درْجاً من يد ديون فيهِ عقد الزيجة وفتحهُ امام الحضور وقال انهُ نائب عن بارين وسألها عما اذا كانت تقبل نيابتهُ فاشارت بالايجاب فصدّق على ما في العقد وردهُ الى ديون ووضع يد بارين في يد ديون على حسب الطريقة المصرية واعطى ديون لبارين خاتماً من الحديد وقال لها هذا خاتم امي اعطاها اياهُ ابي والآن آل اليكِ لتحرصي عليهِ لانهُ فخر بيتنا

فقال ارخبيوس لقد قُرّبت القرابين لايسس وزفس وهيرا وارطاميس وتمّ عقد الزواج بين ديون بن يومينس وبارين بنت ليونكس ثم صافحهما مهنئاً وعانقتهما برنيكي وصافحهما جورجياس ووقفت شارميان حيرى كأنها لا تعي على شيء الى ان اتى احد الخدم وسار بهما الى دار الهيكل وكانت بارين تظن نفسها في حلم وكأنها تخاف ان تتنفّس لئلا تستيقظ .وكان ديون يمشي الى جانبها ولا تكاد رجلاهُ تحملانهِ لضعفهِ فاقنعهُ جورجياس ليجلس في المحفة وحملها هو والشاب الآخر الذي كان واقفاً هناك وهو فيلوتاس تلميذ دديموس . وقال جورجياس لبارين اتبعينا فسارت وراء المحفّة ونزلوا في سلّم ثم في سرداب ضيق الى ان وصلوا الى باب ففتحهُ جورجياس بمفتاح كان معهُ وظلوا سائرين الى ان بلغوا سرداباً قليل الارتفاع جداً فقال لبارين اخفضي رأسكِ ولا تخافي اذا اصابتك الخفافيش وهذا السرداب طويل ولكن

لا بدَّ لنا من السير فيهِ اذا اردنا ان لا يرانا احد . وكان خادم جورجياس يسير امامهم ومعهُ مشعل ضعيف النور وبارين تخشى ان يقع نورهُ على وجهها ويديها فيراها ديون على تلك الحالة . ونفرت الخفافيش وجعلت تلطم رأس بارين ووجهها وهي لا تعبأُ بها لانها كانت ترى ديون يتململ متألمًا امامها فلا تفكر الاَّ بهِ . وكلما وقف بهِ حاملاهُ اسرعت اليهِ ومسحت العرق عن جبينهِ وشجعتهُ بكلمة تهمسها في اذنهِ الى ان وصلوا الى باب في آخر السرداب ففتحهُ جورجياس واذا امامهم سلم يوصل الى البحر قرب بستان دديموس ورجل طويل القامة كان واقفًا امام الباب فحمل ديون وسار بهِ ودنا منها رجل آخر مثلهُ وطلب اليها ان تسمح لهُ بحملها ثم رفعها بين يديهِ وسار بها ولم يكن الاَّ لحظة ثم استنشقت هواءَ البحر وسمعت صوت الماء ورجلي حاملها تخوضان بهِ فنظرت لعلها ترى زوجها فلم ترَهُ لان الظلمة كانت حالكة فخافت ولكن لم يكن الاَّ دقيقة حتى وصلت الى قارب كبير وُضعت فيهِ وسمعت صوتًا خافتًا يقول لها قضي الامر وسآتيكِ بقليلٍ من الخمر ونظرت واذا زوجها على فراش في ذلك القارب فانحنت فوقهُ فوجدت انهُ قد أُغمي عليهِ فرفعت رأسهُ ووضعتهُ على حضنها وجعلت تفرك جبينهُ بالخمر ولم تدرِ ان القارب كان سائرًا بها الاَّ بعد ان رأت البحارة نشروا شراعهُ ولم تكن تعلم الى اين يراد اخذها واخذ زوجها ولا سألت عن ذلك لانها كانت تعلم ان الاصدقاءَ لا يقصدون لها الاَّ خيرًا وكل مكان تقيم فيهِ مع حبيبها فهو فردوس النعيم . ثم انحنت وقبَّلت جبينهُ ورفعت قلبها الى ابلون الهها بالشكر وتضرعت اليهِ ان يسكب اشعة نورهِ على حبيبها ويشفيهُ . وحينئذٍ وصل القارب الى جزيرة واتى رجال حملوا ديون وحملوها الى الشاطئ وسمعت بروس يرحب بها ويقول اهلاً وسهلاً بزوجة ديون اذا اعجبتك الاقامة عندنا بمقدار ما نحن فرحون بكِ وبزوجك سيدنا فسترين عندنا كل ما يسركِ ويسرهُ . وسار بها الى غرفتين كبيرين تقوم زينتهما بنظافتهما ورأت امام الباب زوجة بروس وابنتها وكنتها فحيَّت بارين وقالت لها اني انا وكنتي وابنتي نكون في خدمتك وخدمة زوجكِ

الفصل التاسع عشر

عادت شارميان وارخبيوس الى القصر واقاما مدة لا يتكلمان مع ان فكريهما كانا مشغولين بموضوع واحد . وكانت شارميان قد سألت اخاها وهو راجع معها الى القصر عن المكان الذي ارسل اليهِ ديون وبارين فقال لها لا استطيع ان ابوح لكِ بهِ فسألتهُ كيف استطعتم ان تستخدموا الهيكل لهذه الغاية فاجابها جوابًا مختصرًا كالاول

وكان تماجنس قد جاء من رومية مفوَّضاً بعقد الصلح مع كليوباطرة وان يضمن عرشها لها ولاولادها من بعدها على شرط ان تقتل انطونيوس او تسلمهُ لاكتاڤيانوس . وظن تماجنس ان هذا الطلب عادل وانهُ في مصلحة كليوباطرة وبلادها لان انطونيوس كان مستبدًا مبذرًا كاد يخرب البلاد باسرافهِ ومحبتهِ للابهة والمجد وانهُ ما دام في مصر لا تنطفئ نار الحرب بينها وبين رومية . وكان تماجنس يضمر العداوة لانطونيوس لانهُ أُسر وبيع في رومية على عهدهِ ولذلك لم يستنكف من المجيء الى الاسكندرية في هذه السفارة ليسعى في الانتقام منهُ وظن ان ارخبيوس يساعدهُ في ذلك وكذلك اريوس عم بارين وهو معلم اكتافيانوس. ولكنهُ كان يتوقَّع المساعدة الكبرى من انوبس رئيس الكهنة فبيَّن لهُ ان انطونيوس لم يعُد يُرجى وانهُ اذا لم تبادر مصر الى مصالحة رومية وقعت في قبضتها غنيمة باردة ووقعت الملكة في قبضة اكتافيانوس فان شاء ابقاها وان شاء اسرها او قتَلها . واخبر انوبس ان اكتافيانوس يثق باريوس ويعتمد عليهِ وطلب منهُ ان يتذاكر معهُ في هذا الامر . ولم يرَ انوبس من الحكمة ان يذهب بنفسهِ ويتكلم مع اريوس ولا كان اريوس قادرًا على المجيء اليهِ بسبب ما اصابهُ من الترضُّض كما تقدَّم فبعث انوبس اليهِ بوكيلهِ سرابيون. فدارت المذاكرة بين تماجنس واريوس ووكيل رئيس الكهنة وكان ذلك لما طلب ارخبيوس من اريوس ان يبذل كل ما في وسعهِ لمساعدة بارين فقال سرابيون انهُ يخبر رئيس الكهنة ليبذل جهدهُ في دفع الحيف عنها اكرامًا لاريوس وارخبيوس . وبينما كان هؤُلاء الرجال يتذاكرون في ما يفعلونهُ لانقاذ بارين اتت انوكس واخبرت ارخبيوس بما اشار بهِ جورجياس وانهُ لا بدَّ من استخدام هيكل ايسس لهذا الغرض فاطلع ارخبيوس سرابيون وكيل رئيس الكهنة على الامر وقرَّ القرار على ان يعقد عقد ديون وبارين في الهيكل وينزلا منهُ الى السرَب المؤَدي الى البحر فوافق سرابيون على ذلك وقال ان الكهنة مستعدون دائمًا لاغاثة المظلومين لاسيا وانهم في هذا العمل يقون الملكة من عمل تندم عليهِ اشد الندامة ثم ان الملكة اما ان تتشبث بانطونيوس فتتجرَّع غصص المنون معهُ او تتركهُ احتفاظًا بنفسها وعرشها وفي الحالين لا خوف على ديون وبارين من غيظها لانها شفوقة لا تكظم الغيظ ولا تحمل الحقد . فاتفقت آراء الحضور على نجاة ديون وبارين وعلى اسلوب النجاة . واخبر ارخبيوس شارميان بالغرض الذي جاء تماجنس لاجلهِ بالاختصار اما هي فكان بالها مشغولاً لانها خافت ان تكون الملكة افتقدتها في غيابها فلم تخبر اخاها بشيءٍ سوى ان الملكة قالت انها ستقيمهُ وصيًا على اولادها. لكن الملكة لم تفتقدها لان النائب قابل الوفد عنها اما هي فكانت قد ركبت مركبتها ونزلت الى المدينة

ولما وصلت شارميان الى غرفتها وجدت انوكس في انتظارها فاخبرها ارخبيوس نفسهُ عن نجاة بارين فوقفت امامهُ تصغي الى كلامهِ كأنهُ وحي سموي لانهُ يندر ان رجلاً في مقامهِ يكلم جارية مثلها ثم لما سمعتهُ يشكرها على غيرتها ومهارتها لم تجد كلاماً تجيبهُ بهِ غير قولها انها عبدة طائعة وان كل ما فعلتهُ واجب عليها وطفح قلبها سروراً لانهُ كان يكلمها كما يكلم اقرانهُ . ثم لما خرجت نظرت اليها احدى الجواري وقالت لها مالي اراكِ وقد غار رأسكِ بين كتفيكِ فقالت لها بل ارتفع كتفايَ من كثرة ما هززتهما احتقاراً للحمقى الذين مثلكِ

وجلست شارميان في كرسي كبير وجلس ارخبيوس في كرسي آخر امامها جلسا صامتين لا يتكلمان من شدّة التعب ثم تكلمت شارميان فاخبرت اخاها عما بدا من الملكة من الحنو والانعطاف لما شاهدت البيت الذي بناهُ اولادها وكيف ابدت العتوّ لما كلمتها في امر بارين ثم قالت ولا ادري الآن ماذا تفعل بي اذا علمت اني كنت مشاركة في هربها ولاسيما بعد ان قامت ايراس ضدي ونسيتْ حبي لها وعنايتي بها . ثم انني لا استطيع ان احط منزلة ايراس عند الملكة لانها امهر مني سياسة

فقال وما نفع السياسة الآن وقد فقدنا كل شيء . فقالت معاذ الله . فقال نعم ضاع كل شيءٍ الّا اذا فعلت الملكة فعلاً تسيء بهِ الى نفسها

فقالت انها اذا فعلت ما تشير اليهِ سلّمت اليك اعز شيءٍ لديها . فقال اتعنين اولادها فقالت نعم اولادها فانها تحبهم اكثر مما تحب ايًا كان وهي مستعدة ان تموت لاجلهم . فقال عساها تفعل ذلك فانها اضاعت كل سعادتها وسيزيد شقاؤُها يوماً بعد يوم واني اعلم ذلك واود ان افتديها بنفسي لو امكن لانكِ تعلمين منزلتها عندي ومهما امرتني ان افعل فاني افعلهُ عن طيب نفس حاسباً اياهُ فخرًا لي

فقالت هذا الذي اعتقدهُ فيك ولكن لا يزال بالي مشغولاً بما حدث فان فرار بارين وغيظ الملكة وانتقام ايراس وكرهي للسياسة كل ذلك حرمني الراحة منذ امس والآن ربما تستدعيني الملكة وتستشيرني في امر فلا ادري بماذا اشير عليها

فقال تعساً لمن يستشير امرأة اذا اشتدّت الخطوب فان النساء يذهبن بآراء الحكماء ادراج الرياح وما من احد اضرّ بالملكة في هذه الحال من ايراس

فقالت احسنت ولقد كنت عازمة ان انقطع عن خدمتها واعود الى قنوبس الى البيت الذي خرجت منهُ والبستان التي درسنا فيهِ مبادئ الحكمة . اعود الى هناك واراجع الاشعار القديمة التي كنا نتلوها والحديثة التي بعث بها الينا تماجنس من رومية . اعود الى حيث

نبض في قلبي اول نابض الحب وتعلقت امالي بمن جعلتها غرض حياتي في الدنيا اما الآن فعدلت عن ذلك وسأبقى معها في الضراء كما كنت في السراء وارافقها الى آخر نسمة من العمر

فنظر اليها هنيهة ثم قال " انها في خطر مبين هي وكل من لها ولكن لم ينقطع الرجاء بعدُ فقد يمكنها ان تنجو من هذا الخطر ولكن بعمل من عملين كلٌ منهما شرٌ من الآخر إما بقتل انطونيوس او بتسليمهِ لاعوانهِ هذا ما طلبهُ تماجنس

فاضطربت شارميان وقالت اهذا طلبهُ

فقال نعم هذا واذا قبلتْ بهِ تكون قد خانت عهد حبها لمن جرى حبهُ مجرى دمها في عروقها ومجرى النيل في بلاد اسلافها فلا تتركيها يا شارميان ولا تبعدي عنها يا اختي والاً زادت شقاء على شقاء

فقالت كلاَّ فاني لا اتركها ابداً بل ابقى معها الى النهاية · فقال احسنتِ وهي قد ملكت قلبكِ ويستحيل عليكِ تركها ولنا شركاء كثيرون في ذلك وما منهم من يخجل بولائهِ لها · والمصائب تفعل بالنفوس الدنيئة فعل السيف الماضي واما النفوس الطيبة الكريمة فتلحمها بعضها ببعض كما تلحم المطرقة قطَع الحديد · ولكن بقاءكِ معها مقيَّد بحبها لكِ فما دامت مقيمة على محبتكِ فانت مضطرة حتماً ان تقيمي معها ولكن اذا اظهرت لكِ الجفاء وابعدتكِ عنها فانت في حلٍ منها واذا بقيتِ معها هلكتِ من غير اثم ولا حرج · فكوني على حذر وراقبيها غداً فان رأيتها على عهد المحبة فلا تتركيها بل ابقي معها الى النهاية مهما جرى وان رأيتها اهملتكِ ولم تعد تكترث لكِ فدعيها وشأنها وها داري الاريانا تحت امركِ

فقالت لا شبهة عندي انها تحبني ولكن كيف امتحن ذلك · فقال الامتحان تسهل اخبريها بفرار بارين وبانكِ ساعدتها على الفرار . ولا بدَّ لها من ان تعرف ذلك عاجلاً او آجلاً فاذا كانت تحبكِ حقيقة لم تكرهكِ لاجل عمل مثل هذا نجيتِ بهِ فتاة من الموت الزؤام وامرأة من توبيخ الضمير

فقالت أَإلى هذا الحد

فقل نعم وذلك خير من ان تكذبي عليها سلسلة اكاذيب لكي تخفي عنها امر بارين · فانظري هل بقي فيها من كرم الاخلاق ما يتغلَّب على الغيرة العمياء وهل هذه الغيرة لا تعميها عن بذلكِ نفسك لاجلها

ولما قال ذلك دخلت انوكس وقالت لشارميان ان ايراس بالباب وتريد ان تراكِ . فقال ارخبيوس ادخليها وقال لشارميان هذا رايي وهذه نصيحتي ثم ان الذين في سننا لا يكتفون

برأي غيرهم بل يرجعون الى رأي انفسهم . فقالت اصبت ومجيء ايراس الآن يضطرني الى الاباحة بالسر . ولم تتم كلامها حتى دخلت ايراس وهي في اشد الاضطراب وقالت بعد ان حيتهما لا احد يعلم الى اين ذهبت الملكة فاضطرّ مارديون ان يقابل موكب ايسس بدلاً منها فهل تعلمين الى اين مضت

فقالت شارميان كلاّ ثم سألتها عما اذا كان انطونيوس وصل وعن كيف رأتهُ . فقالت رأيتهُ في حالة يرثى لها وعدت الى هنا مسرعة لامنع الملكة من زيارتهِ ان امكن لانها ان زارتهُ الآن لم تجد ما يسرُّها فقد سحقتهُ الخطوب سحقاً واذهبت شجاعة ابن هرقل واخاف ان يجرّ الملكة معهُ الى بالوعة اليأس . فقال ارخبيوس علينا ان نبذل كل ما في وسعنا لانقاذها من ذلك واننا وضعتكما الالهة معها لتسنداها وتقوياها وقد حان الوقت الذي يمتحن فيهِ اخلاص المخلصين

فقالت ايراس اما انا فاني اعلم ما يُطلَب مني

فقال برهني على ذلك بالفعل فقد بلغني انكِ حاقدة على عمتك . فقالت ان التي تنصر اعدائي عليّ لا تكون مكترثة لمحبتي لها اين ذهبتِ بارين

فقالت شارميان ستعلمين ومتى علمتِ فربما رسخ في ذهنكِ اني لا اكترث لمحبتكِ ابداً ولكني لم اقصد ان اغيظكِ بل ان انجي امرأة اخرى من تبكيت الضمير واقول لكِ انكِ لو اسأتِ اليّ مهما اسأتِ وثارت في نفسي ثائرة الانتقام فان في قلبي من الحب ما يمحو كل آثار البغض وانا وانتِ مشتركتان في هذا الحب . فابغضيني وافعلي كل ما تشائين لاذيتي ولو كنتِ مثل ابنتي ولكن اياكِ وان تسلبيني القوة التي احتاج اليها الآن لمساعدة مولاتي ومولاتكِ . ولقد كنتُ الآن اخبر اخي بعزمي على ترك الملكة والاعتزال

فقال ايراس كلاّ كلاّ ليس الآن ولا يمكنها ان تستغني عنكِ

فقالت شارميان الاستغناء عني اسهل من الاستغناء عنكِ ولكن قد لا تستطيع ان تستغني عني في بعض الامور

فقالت ايراس كلاّ وليس تحت الشمس من يقوم مقامكِ في خدمتها لامقامكِ ولامقامك ياعمّاهُ ولاسيما في هذه الايام المظلمة

فقال ارخبيوس وامامنا ايام اظلم منها وستعلمان ذلك غداً وعليكِ يا ايراس يتوقف بقاء عمتكِ في خدمة الملكة فاذا شئتِ ان تبقى في خدمتها فلا تعسّري الامر عليها فاننا نحن الثلاثة يابنتي نفضل راحة الملكة على راحتنا وليس من يماثلنا في ذلك بين كل حاشيتها ولذلك يجب ان لا ندع شيئاً يحلّ حبل اتصالنا

فرفعت ايراس رأسها انفةً وقالت أَأَنا الفاعلة على حل حبل الاتصال ام انتما فانكما تعلمان ان هذا القلب الكسير لا يميل الاّ الى شخص واحد ومع ذلك دخلتما بيني وبين الرجل الذي احبهُ الرجل الذي احببتهُ منذ طفوليتي وعلقت قلبي عليهِ دخلتما وبنيتما جسراً سيّرتما عليهِ امرأة اخرى وربطتم قلب ديون بها . وقد قبضتُ على هذه المرأة وشكرت الالهة لانها وقعت في يدي فبادرتما اليها وانقذتماها واوصلتماها الى الرجل الذي انا احقُّ بهِ منها من كل وجه وحقي اقدم من حقها واثبت وانا اقدر منها على ادارة بيتهِ. ألا يكفي ذلك لإبعاد قلبي عنكِ يا عمتي بعد ان عاملتِني هذه المعاملة

قالت ذلك واسرعت وخرجت من الباب لكنها التفتت وهي خارجة وقالت ومع ذلك فانا اخدم الملكة بالاتفاق معكِ ولا افارقكِ واحسب انكِ لازمة لها مثلي بل الزم واما في غير ذلك فكلٌّ يعمل على شاكلتهِ

الفصل العشرون

مضت كليو باطرة الى انوبس رئيس الكهنة وكان شيخاً فانياً في الثمانين من عمرهِ وكهنة البلاد كلهم في قبضة يدهِ وكان يتعذَّر عليهِ الخروج من بيتهِ فحُمل الى المرصد ليرصد الكواكب ويرى كيف افل سعد كليو باطرة وما خُبّئ لها في زوايا القدَر فلم يرَ شيئًا يسرها لكنهُ اكد لها ان استقلال مصر ونجاتها ونجاة اولادها كل ذلك في يدها وان الكواكب تدل على ان ذلك لا يتم ما لم تضحِ تضحية كبيرة جداً تضحية يُلجم لسانهُ عن النطق بها . وكانت معتادة ان تسمع منهُ هذه الاقوال المبهمة وتفسرها كما تشاء فقالت لهُ اريد ان اعلم منك هل كاس نكتانيبوس هي التي جعلت انطونيوس يترك القتال ويتبعني فانني كنت قد حاولت استهواءهُ بها قبل المعركة . فقال لها لا شبهة في ذلك

وكانت قد رأَت هذه الكاس في الهيكل وقيل لها ان كل من يدع شخصاً آخر ينظر اليها نظراً مستطيلاً حتى تنعكس صورتهُ عن سطحها الصقيل يصير ذلك الشخص طوع ارادتهِ فطلبت ان تعطى لها فلم يُجَب طلبها ثم لما رأَت ان محبة انطونيوس قد فترت وخافت ان يعلق قلبهُ حب غيرها طلبت الكاس بلجاجة وامرت انوبس ان يعطيها اياها فاعطاها اياها مكرهاً وقال لها ان هذه الكاس ستجلب عليكِ الشر وكان يعتقد ان فيها سحراً يسحر الناس فذكَّرها حينئذٍ بما قالهُ لها حينما امرتهُ ان يعطيها اياها . فقالت لهُ اذا كان هذا فعل الكاس فيجب ان نكسرها حالاً يجب ان تذيبها امامي

(ستأتي البقية)